

سلسلة دراسات في التفسير الموضوعي

مهارة التحريض

هيا إلى درب النجاح

الفوز في القرآن الكريم "دراسة إرشادية"

جمع وتأليف

أحمد عمر النعمة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، قال في محكم كتابه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)، الأحزاب: ٧١، والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الفوز بالجنة والنجاة من النار، مطلب وهدف يسعى إليه كل مسلم، وكان من دعائه ﷺ "اللهم إنا نسألك عزائم مغفرتك ومنجيات أمرك، والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر، والفوز بالجنة والنجاة من النار"^١ ومن دعائه ﷺ: " اللهم إني أسألك الفوز عند القضاء، ونزل الشهداء وعيش السعداء، ومرافقة الأنبياء، والنصر على الأعداء"^٢،

والكافر يتحسر لفوته الفوز، فعن أبي هريرة مرفوعاً "لا يدخل الجنة أحد إلا أري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً، ولا يدخل النار أحد إلا

^١ أخرجه الحاكم في المستدرک برقم (١٠٠٢) وقال صحيح الإسناد.

^٢ أخرجه الترمذي برقم (٣٤١٩) في الدعوات مطولاً بنحوه. وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي ليلى من هذا الوجه. وابن خزيمة (١١١٩).

أري مقعده من الجنة ليكون عليه حسرة".^٣ وهذا البحث يلقي الضوء على وسائل الفوز وأسبابه وثمرته، كما يبين الميزان الخاسر وعواقبه، "فقد حوى الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من المواعظ والإنذار والآداب التي يفوز ممثلها وينجو من عمل بها، ما فيه عبرة لمن اعتبر، ومزدجر لمن وعى وادّكر، وكفاية لمن تفكر في آياته.

ولما كانت مرتبة الفوز عظيمة، احتاجت إلى مهارات منها:

- مهارة الدافعية والإنجاز.

- الرغبة والإرادة.

- مهارة إدارة الأولويات والوقت.

- مهارة الثقة بالنفس.

- مهارة مواجهة المشكلات.

- القدوة.

^٣ أخرجه البخاري برقم (٦٥٦٩) انظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية ١/١٨٣، محمد بن مفلح (المتوفى: ٧٦٣هـ)

١-مهارة الدافعية والإنجاز:

وهي الرغبات، والحاجات، والقوى التي تجعل الفرد يؤدي سلوكاً معيناً، وتوجّهه نحو هدف مُحدّد، والإنجاز: ما يُحقّقه الفرد، ويحرص على إتمامه من أشياء، ومهمّات قد يراها الآخرون أموراً صعبة، والسيطرة على البيئة، والصعوبات التي تُواجهه بأفضل الطرق، ومن الجدير بالذكر أنّ هناك العديد من المتطلّبات التي يحتاجها الفرد؛ حتى يصل إلى تحقيق النجاح، والإنجاز.

٢ -الرغبة والإرادة:

أ-وتبدأ الإرادة بالنية: حيث تُعتبر الخطوة الأولى لوصول الفرد إلى تحقيق الفوز والنجاح، والإنجاز، علماً بأنّ عدم وجودها قد يُؤثّر في الإنجاز لدى الفرد.

ب-التخطيط: فالذي يريد إدارة أموره بنجاح لا بدّ من التخطيط السليم، والجيد، يساعد الفرد على تحقيق أهدافه، ممّا يُؤدّي إلى وصوله إلى تحقيق النجاح.

٣-مهارة إدارة الأولويات والوقت:

إذ لا بُدّ من تقدير الأمور الضروريّة التي يجب تحقيقها لكلّ من المهام المطلوبة في الاستخدام الأفضل للوقت المتاح، وينبغي للإداريين أن يتعلموا

كيف يديرون عملية استخدام وقتهم. وقد لاحظ دراكر (Drucker) أن "المديرين الفعالين لا يبدؤون بمباشرة مهماتهم، بل يبدؤون بالنظر في وقتهم، وهم لا يبدؤون بمباشرة التخطيط، بل يبدؤون بمعرفة فيم يُصرف وقتهم فعلاً، ثم إنهم يبذلون جهدهم للتقليل من الأعمال غير المثمرة التي تمثل عبئاً على وقتهم".^٤

٤ - مهارة الثقة بالنفس:

"الثقة بالنفس بعد التوكل على الله مطلوبة شرعاً، فالمسلم يتعين عليه أن يُحسن الظن بالله تعالى، وأن يتفاءل لنفسه الخير والنجاح دائماً، ويسعى باستمرار في سبيل الارتقاء لتحصيل الكمال، ويستخدم لذلك فكره وطاقته، ويبذل جهده وما تيسر له من الوسائل في تحقيق طموحاته والوصول إلى أهدافه، فقد قال الله تعالى: (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) آل عمران: ١٥٩." فمَن خلاها يكون لدى الفرد الدافع؛ للبحث عن الإنجاز.

^٤ إدارة الوقت من المنظور الإسلامي والإداري ٢١/١، المؤلف: د خالد بن عبد الرحمن بن علي الجريسي.

^٥ معالم الطريق إلى الله ٧٩/١ المؤلف: أبو فيصل البدراني.

٥- مهارة مواجهة المشكلات:

تعتمد هذه المهارة "على كيفية تنمية القدرات العقلية ومنهج التفكير السليم، في البعدين الزماني والمكاني، وكلما اتسعت رحلة القدرات العقلية، وعملية التفكير خلال بعدي الوجود الزماني، والمكاني المشار إليهما كلما نمت هذه القدرات، وأحكمت عملية التفكير، وتمكن الإنسان من مواجهة المشكلات القائمة بثقة، وقدرات عقلية مناسبة"^٦. وكل ذلك يتم عن طريق التكيف، والانسجام مع الظروف المحيطة بسرعة، وذلك من خلال استخدام الإمكانيات، والقدرات بشكل أفضل.

٦- القدوة:

نجد الدعوة إلى التبصر بالقدوة في مثل قوله تعالى: (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) الأحقاف: ٣٥.

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) الأحزاب: ٢١.

^٦ أهداف التربية الإسلامية ٧٤/١، المؤلف: د ماجد عرسان الكيلاني الأردني الناشر: دار القلم الطبعة: الأولى.

(أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ) الصف: ١٤ حيث إنَّ وجود مثل أعلى للفرد في عمل مُعَيَّن، من شأنه أن يُشكِّل دافعاً قوياً؛ للوصول إلى تحقيق الفوز والنجاح، والإنجاز.^٧

وكل هذه سنجد تفصيلاتها في هذه الدراسة، مدعمة بالأدلة من القرآن الكريم، والسنة والسيرة والأدب، مشفوعة بالأمثلة والقصص.

^٧ مهارات النجاح، بقلم طارق محمد مجلة موضوع الالكترونية ص ١

خطة البحث

يتألف البحث من أربعة فصول ومباحث نجم لها فيما يأتي:

الفصل الأول: تعاريف ومفاهيم وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الفوز لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: آيات الفوز في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: من صفات الفائزين

المبحث الرابع: فوز الصحابة رضي الله عنهم.

المبحث الخامس: فوز التابعين رحمهم الله تعالى.

الفصل الثاني: الفوز عوامله ووسائله وثمراته وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: عوامل الفوز.

المبحث الثاني: الفوز العكسي.

المبحث الثالث: الفوز من ثمرات الإيمان.

المبحث الرابع: من وسائل الفوز.

المبحث الخامس: مقارنة بين أهل الفوز والخسران.

الفصل الثالث: الخسران أسبابه وعاقبته وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: من أسباب الخسران "عدم التفريق بين حسن الظن والغرور".

المبحث الثاني: العمل لوحده لا يحقق الفوز.

المبحث الثالث: "قول لا إله إلا الله وحدها لا تحقق الفوز".

المبحث الرابع: أصحاب النار لا يمكن لهم الفوز.

المبحث الخامس: خسارة بني إسرائيل في دعواهم: أنهم شعب الله المختار

الفصل الرابع: الفوز، نجاح ومهارات، وأقوال في مناسبات وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الفوز فلاح ونجاح

المبحث الثاني: الفوز في مناسبات.

المبحث الثالث: الفوز في أقوال الصالحين.

المبحث الرابع: اتباعه عليه الصلاة والسلام قمة الفوز والفلاح.

المبحث الخامس: التقوى والعمل الصالح سبيل الفائزين.

الخاتمة

المصادر والمراجع

المحتوى.

الفصل الأول:

المبحث الأول: تعريف الفوز لغة واصطلاحاً

الفوز في اللغة: الظفر بالخير، والنجاة من الشر. يقال: فاز بالجنة ونجا من النار، وقوله جل وعز (لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُونَ أَنَّ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) آل عمران: ١٨٨. أي: منجاة..^٨

"وجاء في جمهرة اللغة: الفوز: ضد الهلاك، وسميت المفازة بالفوز تفاضلاً، وإنما هي مهلكة فقالوا: مفازة، ويقال: قعدت على أوفاز وعلى وفز، إذا قعدت على غير طمأنينة."^٩

الفوز اصطلاحاً: هو النجاء والظفر بالأمنية والخير قال الله تعالى: (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا) النبأ: ٣١.

^٨ كتاب العين ٣٨٩/٧، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، وصحاح العربية ٨٩٠/٢، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، (المتوفى: ٣٩٣هـ).

^٩ جمهرة اللغة ٨٢٢/٢، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ).

المبحث الثاني: آيات الفوز في القرآن الكريم

مجمل الآيات التي تتحدث عن الفوز في القرآن الكريم، تحكي قصة المؤمن الذي يتحلى بالصفات الآتية:

- الإيمان التام، واليقين الثابت
- طاعة الله ورسوله
- عبادة الله تعالى، بما أمر به، ونهى عنه.
- الخوف من المعصية والحذر من الوقوع فيها.
- فوز الصحابة رضي الله عنهم، بعد اجتيازهم امتحان الهجرة.
- المتردد المشكك بسبب نفاقه يندم يوم لا ينفع الندم.
- أولياء الله تعالى يفوزون، وصفاتهم إيمان وتقوى أي: (تصديق وفعل).
- الصابرون المتوكلون على الله، والواثقون من إجابة ربهم لهم.
- المتصفون بالعبودية الحققة لله تعالى، الذين تخلصوا من المعاصي القلبية وأشرقت قلوبهم بالإخلاص التام.
- التائبون والذين يتبعون المنهج القويم.

١-الإيمان التام، واليقين الثابت:

الفوز لا بدّ له من إيمان واعتقاد صحيح وفق الكتاب والسنة، وشرح أهل العلم، والتي نقلها العلماء المختصون بالسند المتصل عن الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان بأدلة صريحة صحيحة أو صحيحة غير صريحة معللة أو غير معللة.

والإيمان التام واليقين الثابت بكل ما جاء به الله ورسوله، وما عليه السلف في خير القرون ومن تبعهم بإحسان حتى تقوم الساعة، وهؤلاء وعدهم الله تعالى الفوز العظيم بالجنات. جنات مع رضوان، جنات تجري من تحتها الأنهار، وجنات عدن مساكنها طيبة، فيها فوز عظيم وكبير.

وآيات الفوز التي تعنى بالإيمان خمس آيات تتصدر العناوين الآتية:

أ- قال الله تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ). التوبة: ٧٢.

ب- وقال الله تعالى: (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) الحديد: ١٢.

ج- وقال الله تعالى: (يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) الصف: ١٢.

د- وقال الله تعالى: (يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) التغابن: ١١.

هـ- وقال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ) البروج: ١١.

"فالإيمان، والعمل الصالح كلمتان تشملان جميع ما جاءت به رسالة محمد ﷺ، وتحيطان بكل ما أكملته من عقيدة، وعمل، وخلق، وحسن معاملة، فهما قوام الإسلام وزبدة ما جاء به محمد رسول الله، ﷺ وهما في الواقع قوام الفلاح، والنجاة، وملاك السعادة." ١٠

٢- طاعة الله ورسوله:

وآيتان تربطان الفوز بالطاعة لله ورسوله وهي الأساس في بناء العقيدة والشرعية والأخلاق بناءً متيناً وهما:

١٠ الرسالة المحمدية ١/ ١٨٨، المؤلف: السيد سليمان الندوي الحسيني (المتوفى: ١٣٧٣هـ) ..

أ- قال الله تعالى: (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) النساء: ١٣ .

في هذه الآية شروط تحقيق الفوز، أداء الحقوق المالية، وتوزيع الميراث حسب التوجيهات القرآنية.

ب- وقال الله تعالى: (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) النور: ٥٢ .

وفي هذه الآية يتحقق الفوز في التحاكم إلى القرآن والسنة وسرعة الاستجابة مع التسليم والرضا التام.

٣- عبادة الله تعالى، بما أمر به، ونهى عنه:

وآية تربط الفوز بالصدق المنجى لهم من هول يوم القيامة، وتبوءهم المنزلة العالية في الجنة حيث الأنهار تجري من تحتهم، ويحوزون رضى الله تعالى

فهم يؤدون عبادة الله عملاً بما أمر الله ونهى عنه. وفق الكتاب والسنة واجتهاد الأئمة الذين تلقى منهم الأمة بالقبول جيلاً عن جيل. قال الله تعالى: (قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)، المائدة: ١١٩ .

٤ - الخوف من المعصية والحذر من الوقوع فيها:

وآية تربط الفوز باستمرار الشعور بالخوف من المعصية، حتى يكون حال العاصي على الدوام محاسبة وتأنية الضمير، ودموع العينين، ويصحبه حال الخائف الذي ينتظر العقوبة فيحدث توبة وعودة إلى الله تعالى، وهذا ما جاء في آية واحدة في سورة الأنعام الآية: ١٦.

قال الله تعالى: (قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْقُورُ الْمُئِينَ). الأنعام: ١٦، قال أبو منصور الماتريدي: "وذلك الصرف - يعني: صرف العذاب - الفوز المبين، وإنما ذكره - والله أعلم - فوزاً مبيناً؛ لأنه فوز دائم، لا زوال له، وليس كفوز هذه الدنيا يكون في وقت ثم يزول عن قريب" ^{١١}.

٥ - فوز الصحابة رضي الله عنهم، بعد اجتيازهم امتحان الهجرة:

وثلاث آيات تتحدث عن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم من المهاجرين والأنصار، والذين جاهدوا في سبيل الله تعالى في عصر الوحي، والذين بذلوا مع أنفسهم أموالهم لإعلاء راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، حتى نالوا

^{١١} تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) ٣٣/٤، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ).

وسام الشرف في لقب المهاجرين والأنصار، حيث خلد ذكرهم القرآن الكريم وحكى جهادهم في سبيل الله تعالى، وهذه الآيات الثلاث هي:

أ- قال الله تعالى: السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ). التوبة: ١٠٠.

أما السابقون من المهاجرين وهم الذين صلوا إلى القبلتين إلى الكعبة وإلى بيت المقدس. وقيل: هم المهاجرون قبل صلح الحديبية، لأن المشركين قبل ذلك كانوا يضطهدون المؤمنين ويعذبونهم أشد العذاب، ويحاربونهم في عقر دارهم فكان الفرار منهم إلى النبي ﷺ في المدينة أعظم دليل على صدق الإيمان وأكبر تضحية للإنسان، وقيل: هم أهل بدر، وإذا كان السبق في الإيمان والهجرة والجهاد والبذل والنصرة، كان أفضل السابقين الخلفاء الأربعة على الترتيب ثم باقي العشرة المبشرين بالجنة، وليس كل سابق أفضل من مسبق.

وأما السابقون من الأنصار فهم الذين أسلموا قبل أن يكون للمسلمين قوة مرهوبة الجانب، وقيل: هم أصحاب البيعة الأولى وكانوا سبعة أو أصحاب البيعة الثانية وكانوا سبعين رجلا وامرأتين، أما بعد أن صار للمسلمين دولة فقد ظهر النفاق في المدينة وما حولها، وأما الذين اتبعوهم بإحسان في الهجرة

والنصرة وصدق الإيمان، فهم الذين دخلوا في الدين بعد ذلك واتبعوا السابقين بإحسان، وقلدوهم في الأفعال والأقوال وحسن الاقتداء.^{١٢}

ب- وقال الله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ التوبة: ٢٠)

ج- وقال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ). التوبة: ١١١

٦- المتردد المشكك بسبب نفاقه يندم يوم لا ينفع الندم:

آيتان تتحدثان عن العقبة الكؤود التي تحول دون بلوغ الفوز والنجاة، أولاها، توجيه الحديث للمنافقين الذين يعيشون في المنطقة الرمادية، يخفون عقيدة فاسدة عليها غشاء كثيف فلا يؤمنون صراحة، ولا كافرون صراحة، فهؤلاء منافقون يريدون أجراً بلا عمل، ونصراً بلا بذل للمال والمهج، بل يتربصون بالمؤمنين ويوالون أعداءهم، فهؤلاء نستطيع أن نصفهم بالمستبصرين قوم عاد وثمود الذين وصفهم الله بذلك نتيجة معرفتهم بالحق ومحاربتهم له،

^{١٢} تفسير الواضح ٨/٢ المؤلف: الحجازي، محمد محمود الناشر: دار الجيل الجديد - بيروت الطبعة: العاشرة - ١٤١٣ هـ.

ويمكن وصفهم أيضاً بالمتهوكين أي المشككين عن إصرار وسبق تصور،
فهؤلاء واحدهم يتمنى الفوز بمشاركة المجاهدين الذين نالوا قصب السبق
بالفضل الديني الذي هو الغنيمة، مع ما أعد لهم يوم القيامة، ولكن أنى
له ذلك وقد كشف الله خبث طويته؟

أ- قال الله تعالى: (۱) وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ
أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ
كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا).
النساء: ۷۱

ب- وقال الله تعالى: (لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا
بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ آل
عمران: ۱۸۸).

۷- أولياء الله تعالى يفوزون، وصفاتهم إيمان وتقوى أي تصديق وفعل.
ومن آيات الفوز آيتان تتحدثان عن الولي التقى، ولي أي تولاه الله تعالى
لأنه، وهذا المعنى وارد في الحديث الصحيح، " عن أبي هريرة، قال: قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته
بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال
عبدى يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع
به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن

سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله
ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته" ١٣.

فأولياء الله تعالى يفوزون، وصفاتهم إيمان وتقوى أي تصديق وفعل. وهم
مبشرون في الحياة الدنيا بالفوز والفلاح والنجاح، مع ما أعد الله لهم من
البشريات يوم القيامة.

أ- قال الله تعالى: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ
آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ
اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ). يونس: ٦٢-٦٢.

ب- وقال الله تعالى: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ
مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ كَذَلِكَ وَرَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ
فَاكِهَةٍ آمِنِينَ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ
فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)، الدخان: ٥٣.

٨- الصابرون المتوكلون على الله، والواثقون من إجابة ربهم لهم:

وآية واحدة من آيات الفوز تتحدث عن الصابرين المتوكلين، فالله يتولاهم
و يجعل لهم نصراً على من استهزأ بهم في الدنيا فصبروا في سبيل تبليغ دين
الله تعالى، وصمدوا مع صبر واحتساب لكل عمل يقومون فيه رجاء دخول
الناس في دين الله الحق (الإسلام). قال الله تعالى: (إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي
يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرِيًّا

١٣ أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

حَتَّى أَنْسَوُكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ) المؤمنون: ١٠٩-١١١

٩- المتصفون بالعبودية الحقّة لله تعالى، الذين تخلصوا من المعاصي القلبية وأشرقت قلوبهم بالإخلاص التام:

وآية واحدة من آيات الفوز تتحدث على أصناف نالوا الفوز والنجاح والفلاح في الدنيا والآخرة، وصفاتهم هي:

أ- مقام المخلص بكسر اللام: جاء معناه في الحديث: " ثلاث لا يغفل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصح لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم " ١٤

أي أن يقصد بالعمل وجهه ورضاه فقط. دون غرض آخر دنيوي أو أخروي. أو لا يكون له غرض دنيوي من سمعة ورياء. فالأول إخلاص الخاصة والثاني إخلاص العامة.

ب- ومقام المخلص، بفتح اللام، قال الله تعالى: (إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ الْحَجَرِ: ٤٠ قال الضحاك: يعني المؤمنين. وقال ابن جرير في تفسيرها: إلا من أخلصته بتوفيقك فهديته فإن ذلك ممن لا سلطان لي عليه

^{١٤} أخرجه أحمد برقم (١٦٧٥٤) والترمذي برقم (٢٨٥٦)، وابن ماجه برقم (٢٣٠).

ولا طاقة لي به. اهـ. إخلاص العبادة لله تعالى، وهذا مقام نادر قلما يبلغه العاملون العابدون، وهذا المقام شهادة الله لهم على وجه التحقق بنقاء طوبيتهم وصفاء سريرتهم، وتخليص أعمالهم من كل شائبة. جاء في الحديث، ولعل معنى المخلص بفتح اللام يراد بهم أنبياء الله ورسله.

قال الله تعالى: (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ أُولَئِكَ هُمْ رَزَقُ مَعْلُومٌ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالِ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ يَقُولُ أَأِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنْتَا لَمَدِينُونَ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلَيْنِ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَدَّيْنِ إِنْ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ، أولئك لهم رزق معلوم... إن هذا هو الفوز العظيم) الصافات: ٦٠.

١٠ - التائبون والذين يتبعون المنهج القويم:

في آية واحدة ذكر الله الفائزين الذين أفلحوا وفازوا بسبب سلوكهم المنهج السليم، عملاً بقوله تعالى: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا

السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)،
الأنعام: ١٥٩، هؤلاء الملائكة ابتعدوا عن السيئات التي هي صغائر، والتزموا
منهج الله لم يبدلوا فنالوا رحمة الله تعالى وتوفيقه، حتى إن الملائكة يستغفرون
ويدعون لهم بالثبات والمغفرة.

قال الله تعالى: (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا
فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ
عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ)، غافر: ٧-٩

"ففي هذا المشهد إلفة واتصال بين هذا العالم في السماء، وبين المؤمنين
على الأرض، وهؤلاء الملائكة محبوبون من المؤمنين لطهرهم وسموهم وطاعتهم
لربهم، واستغفارهم للمؤمنين، بينما صورة الشيطان مكروهة لأنها صورة
شريرة.

بهذا يشعر الإنسان بوجود قوى خيرة في الكون، تناصره، وتجبه، وتقف
معه، فتجانب قوى الخير في السماء والأرض، وهناك، قوى الشر، ممثلة في

الشيطان وجنوده، وهذه قوى شريرة، لها أتباعها من الإنس أيضاً، يتجاوبون معها، وينفذون أوامرها، وهذه قوى يجب أن يحذرها الإنسان ويتعد عنها. هكذا تسير الصورة ضمن منهج تربوي هادف، لبناء الإنسان، من خلال إقامة التوازن بين مشاعره، ثم في تجسيد هذا التوازن في سلوكه أيضاً.^{١٥}

^{١٥} وظيفة الصورة الفنية في القرآن ١/٤٣٢.

المبحث الثالث: من صفات الفائزين

أ- العارفون، وهم المقربون والسابقون:

وهؤلاء الذين لم تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين، وليس حرصهم على الجنة، بل على لقاء الله سبحانه وتعالى والنظر إليه.

ومثالهم مثال المحب، فإنه في تلك الحال غافل عن نفسه، لا يحس بما يصيبه في بدنه، ولا همّ له سوى محبوبه، فهؤلاء الواصلون إلى قرة أعين، ولا تخطر على قلب بشر، فهذا القدر كافي بيان توزيع الدرجات على الحسنات، وروى بعضهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الزاهدون في الدنيا؛ هم الفائزون في الآخرة"، قال الغزي: "اعلم أن المقصود بالتشبه بالصالحين والأخيار إنما هو الفلاح والفوز بدار القرار، وذلك حاصل للمؤمنين بدليل قوله تعالى: (قد أفلح المؤمنون)، المؤمنون: ١.

ب- مفلحون:

لكن فلاح المؤمن إنما يكون بقدر ترقيه في الإيمان، فالتشبه بالمؤمنين مطلوب على كل حال ولو في أصل الإيمان، فإنه إن لم يحصل له الفلاح والفوز من

دخول النار، فإنه يحصل له الفوز من الخلود فيها".^{١٦} وبالجملة "لن يجعل الله من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له فيه". ويمتاز المؤمنون بصفات جمعت جميع العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، على رأسها الآيات التي في سورة "المؤمنون"، قال الله تعالى: (قد أفلح المؤمنون)، المؤمنون: ١

ج- جاء وصفهم بصفات كاشفات لما أراد بالمؤمنين الموصوفين بالفلاح:

بقوله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِقُرُوبِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)، المؤمنون: ١ - ١١. فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال

^{١٦} تيسير الكريم الرحيم تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى:

رسول الله ﷺ: "خلق الله جنة عدن، وغرس أشجارها بيده فقال لها: تكلمي.
فقلت: قد أفلح المؤمنون^{١٧}

ففي هذا الحديث إشارة إلى أن المفلحين من المؤمنين إنما همكملهم، وهم الذين وقوا شح أنفسهم. والمقصود أن أهل الفلاح الكامل هم أهل الإيمان الكامل.

وقال الله تعالى: (الْمَ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)، البقرة: ١ - ٥، أي: الفلاح الكامل، لا غيرهم.

د- المتقون والتقوى إنما تتم بالطاعة، واجتناب المعصية:

وقال الله تعالى: (فَمَنْ رُحِزَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)، آل عمران: ١٨٥. وفي هذه الآية إشارة إلى أن الفوز الحقيقي والفلاح المعتد به إنما هو في الدار الآخرة دون الدنيا - وإن زعم أهل الدنيا أن ما فيها من رخاء وعافية ويسر فوز ونعيم - فإنه لا

^{١٧} أخرجه الحاكم في مستدركه برقم (٣٤٨٠) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، قال محققه: وهو حديث ضعيف. أنظر: المستدرک على الصحيحين أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله (المتوفى: ٤٠٥هـ).

حقيقة له لزواله، بخلاف نعيم الجنة لبقائه. ومن ثم قال الله تعالى: (لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون)، الحشر: ٢٠؛ أي: وأصحاب النار هم الهالكون، وإن نالوا من الدنيا ما نالوا. ولذلك نودي في الأذان، والإقامة: (حي على الفلاح)، فأطلق الفلاح على الصلاة لأنها عماد الدين، وأم الأعمال الصالحة، ومن حافظ عليها كان على غيرها أشد محافظة، ومن ضيعها كان غيرها أكثر إضاعة. أو المراد بالفلاح كل عمل صالح، وفعل خير لقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) الحج: ٧٧.

وإنما أتى بالفلاح في الأذان والإقامة معرفا باللام التي هي للعهد أو للاستغراق؛ إشارة إلى أن العمل الصالح هو الفلاح الحقيقي، أو أن كل فلاح وفوز فهو في العمل الصالح، ودفعاً لما يتوهم أهل الدنيا من أن الفلاح إنما هو في تحصيل الدنيا ومتاجرها والإمساك عليها.

المبحث الرابع: فوز سادة الفائزين الصحابة رضي الله عنهم

المطلب الأول

آيات الفوز التي وردت فيهم

السابقون: أ- قال الله تعالى: (والسابقون الأولون من المهاجرين الأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم)، التوبة: ١٠٠

المهاجرون ب- وقال الله تعالى: (الذي آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون)، التوبة: ٢٠

قال اللواء محمود شيث خطاب: " لقد اهتم الرسول ﷺ بالأمر الإداري كثيراً في معاركه، فتعاون المسلمون على تزويد المجاهدين بالأرزاق والماء والنقلية والسلاح، قرن الإسلام دائماً الجهاد بالأرواح بالجهاد بالمال: (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون) التوبة: ٢٠ هـ^{١٨}

المجاهدون ج- وقال الله تعالى: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة

^{١٨} الرسول القائد ١/٤٥٩، المؤلف: محمود شيث خطاب (المتوفى: ١٤١٩هـ).

والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك الفوز العظيم)، التوبة: ١١١ قال ابن سيده: الهجرة، الخروج من أرض الى أرض. وهاجر، خرج من أرض إلى أخرى. وهاجر أرضه وقومه، باعدهم. أما المهاجرون الذين ذهبوا مع رسول الله ﷺ مشتق منه. وقد أثنى الله تعالى في القرآن على المهاجرين، فقال تعالى: (إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم)، وقال تعالى: (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم).

وقال تعالى: (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم)^{١٩}

^{١٩} إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ٨٥/٩، أحمد بن علي المقرئ (المتوفى: ٨٤٥هـ).

المطلب الثاني

بيان مكانة الصحابة للرد على (الرافضة) أعداء الرسول والرسالة

الحديث عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل الأحاديث وأكثرها أهمية وضرورة، كيف لا وهم الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، الذين بلغوا رسالة الله ولم يخشوا أحداً إلا الله تعالى، ومهما كُتب في حقهم لا يفي بمقدارهم ومكانتهم. ومن هنا كان هذا الموضوع مدار جدل مع أعداء الرسول والرسالة، وبخاصة من لبسوا مسوح الدين والتدين، وحملوا راية الإسلام وجعلوها في بيرقهم، ليحققوا هدفين اثنين لا ثالث لهما:

الهدف الأول: تضليل أتباعهم باسم نصره الحق، والدفاع عن أهل بيت النبي ﷺ، وبهذا فهم يغطون تامة للعقول حتى لا تفكر إلا في فلكهم.

والهدف الآخر: ينقضون الدين عروة عروة لتحقيق مصالح أعداء الرسول والرسالة من أصحاب الديانات والأيدولوجيات العالمية وهم أنشئوا لهذه المهمة. وهذا الموضوع قد كتب فيه الكثير من علماء الأمة المشهود لهم بالخيرية وأتباعهم إلى يومنا هذا، وهو مبسوط وبتفصيل واسع في كتب كثيرة. ولكنني اخترت نصوصاً ملخصة مهذبة أوردتها أصحابها في كتبهم،

رأيت من المفيد إثباتها كما جاءت، مع بعض التهذيب والتصرف لأنه يخدم في إيصال الفكرة دون تعقيد ولا جدل.

أقوال أهل العلم منها:

قال ابن القيم: "واجب على كل مسلم جاء بعد الصحابة رضي الله عنهم من عباد الله المؤمنين أن يدعو لهم، ويستغفر لهم، ويترحم عليهم لما لهم من القدر العظيم، ولما حازوه من المناقب الحميدة، والسوابق القديمة، والمحاسن المشهورة، ولما لهم من الفضل الكبير على كل من أتى بعدهم".^{٢٠}

وقال السيوطي في الدر المنثور: وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في المصاحف، وابن مروديه عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسيبوهم!»، ثم قرأت: (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان".^{٢١}

قال النووي: "أما قولها: - أي السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسيبوهم، قال القاضي: الظاهر أنها قالت هذا عندما سمعت أهل مصر يقولون في عثمان ما قالوا، وأهل الشام

^{٢٠} «طريق المهجرتين» لابن القيم (٥٣٧).

^{٢١} الدر المنثور» للسيوطي (١١٣ / ٨)

في علي ما قالوا، والحرورية في الجميع ما قالوا! وأما الأمر بالاستغفار الذي أشارت إليه فهو قوله تعالى: (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان) الآية.

وبهذا احتج مالك في أنه لاحق في الفيء لمن سب الصحابة رضي الله عنهم؛ لأن الله تعالى إنما جعله لمن جاء بعدهم ممن يستغفر الله لهم، والله أعلم.^{٢٢}

"وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «لا تسبوا أصحاب محمد، فإن الله قد أمرنا بالاستغفار لهم، وهو يعلم أنهم سيقتلون».^{٢٣}

وذكر البغوي رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: (والذين جاءوا من بعدهم) الآية، عن مالك بن مغول قال: قال عامر بن شراحيل الشعبي: يا مالك تفاضلت (أي: فضلت) اليهود والنصارى الرافضة بخصلة، سئلت اليهود من خير أهل ملتكم؟ فقالت: أصحاب موسى عليه السلام، وسئلت النصارى: من خير أهل ملتكم؟ فقالوا: حواري عيسى عليه الصلاة والسلام، وسئلت الرافضة: من شر أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب محمد

^{٢٢} شرح مسلم للنووي (١٨ / ١٥٨ - ١٥٩).

^{٢٣} «الشرح والإبانة» لابن بطة (١١٩)، وأورده القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (١٨ / ٣٣).

أمروا بالاستغفار لهم فسيبهم، فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية، ولا يثبت لهم قدم، ولا تجتمع لهم كلمة، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله بسفك دمائهم وتفريق شملهم وإدحاض حجتهم، أعادنا الله وإياكم من الفتن المضلة»^{٢٤} بوالقرآن الكريم ناطق بأن الصحابة الكبار رضي الله عنهم لم يصدر عنهم شيء يوجب الكفر ويخرجهم عن الإيمان.

١- قال الله تعالى في سورة التوبة: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) فقال الله في حق السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار أربعة أمور:

(الأول) رضوانه عنهم. (والثاني) رضوانهم عنه. (والثالث) تبشيرهم بالجنة، (والرابع) وعد خلودهم فيها. ولا شك أن أبا بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذا النورين وعلي رضي الله عنهم من السابقين الأولين من المهاجرين، فثبت لهم هذه الأمور الأربعة وثبت صحة خلافتهم، فقول الطاعن في

^{٢٤} «تفسير البغوي» (٧/ ٥٤)، وذكره القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٣٣)، وانظر أيضاً «منهاج السنة» لابن تيمية (١/ ٦ - ٧)، و«شرح الطحاوية» لابن أبي العز (٥٣١ - ٥٣٢).

تَسْدِيدُ الإِصَابَةِ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ ١١٧/١ أبو صفوان ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي.

الثلاثة رضي الله عنهم مردود، كما أن قول الطاعن في حق الرابع رضي الله عنه مردود.

٢- وقال الله تعالى في سورة التوبة أيضاً: (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم) فقال الله في حق المؤمنين المهاجرين المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أربعة أمور:

(الأول) كون درجتهم أعظم عند الله.

(والثاني) كونهم فائزين بمرادهم.

(والثالث) كونهم مبشرين بالرحمة والرضوان والجنات.

(والرابع) خلودهم في الجنات أبداً، وأكد الأمر الرابع غاية التأكيد بثلاث عبارات أعني قوله مقيم، وقوله خالدين فيها أبداً، وقوله "أجر عظيم"، ولا شك أن الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم من المؤمنين المهاجرين المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، كما أن علياً رضي الله عنه منهم فثبت لهم الأمور الأربعة.

٣- وقال الله تعالى في سورة التوبة أيضاً: (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئكَ لهم الخيرات وأولئكَ هم المفلحون، أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) فقال الله في حق المؤمنين المجاهدين أربعة أمور:

(الأول) كون الخيرات لهم.

(والثاني) كونهم مفلحين.

(والثالث) وعد الجنات.

(والرابع) خلودهم فيها. ولا شك أن الثلاثة رضي الله عنهم من المؤمنين المجاهدين فثبت هذه الأمور الأربعة لهم.

٤- وقال الله تعالى في سورة التوبة أيضاً: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم. التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين). فوعد الله الجنة للمؤمنين المجاهدين وعداً أكد فيه أنهم في مرتبة عالية، ومقام كريم ينعمون فيه لما اتصفوا من صفات تسعة

ذكرتها الآية في سورة التوبة السابقة الذكر وهي قوله تعالى: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة...الآيات). وهذا المقام هو فوزهم إن الله بالجنة.

٥- وقال الله في سورة الحج: (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) فقلوه: (الذين إن مكناهم)، صفة لمن تقدم وهو قوله (الذين أخرجوا)، فيكون المراد به المهاجرين لا الأنصار لأنهم ما أخرجوا من ديارهم فوصف الله المهاجرين بأنه إن مكناهم في الأرض وأعطاهم السلطنة أتوا بالأمور الأربعة وهي إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن قد ثبت أن الله مكن الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم في الأرض، فوجب كونهم آتين بالأمور الأربعة، وإذا كانوا كذلك ثبت كونهم على الحق، وفي قوله الله عاقبة الأمور دلالة على أن الذي تقدم ذكره من تمكينهم في الأرض كائن لا محالة، ثم إن الأمور ترجع إلى الله تعالى بالعاقبة فإنه هو الذي لا يزول ملكه.

٦- وقال الله تعالى في سورة الحج: (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس،

فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير) فسمى الله في هذه الآية الصحابة بالمسلمين.

٧- وقال الله تعالى في سورة النور: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) النور: ٥٥

ولفظ "من" في قوله منكم للتبويض وكم ضمير الخطاب فيدلان على أن المراد بهذا الخطاب بعض المؤمنين الموجودين في زمان نزول هذه السورة لا الكل، ولفظ الاستخلاف يدل على أن حصول ذلك الوعد يكون بعد الرسول ﷺ ومعلوم أنه لا نبي بعده لأنه خاتم الأنبياء، فالمراد بهذا الاستخلاف طريقة الإمامة، والضمائر الراجعة إليهم في قوله: (ليستخلفنهم.... إلى قوله لا يشركون)، وقعت كلها على صيغة الجمع، والجمع حقيقة لا يكون محمولاً على أقل من ثلاثة، فتدل على أن هؤلاء الأئمة الموعود لهم لا يكونون أقل من ثلاثة وقوله ليتمكن لهم إلى آخره وعد

لهم بحصول القوة والشوكة والنفاز في العالم فيدل على أنهم يكونون أقوياء
ذوي شوكة، نافذ أمرهم في العالم، وقوله دينهم الذي ارتضى^{٢٥}

^{٢٥} أنظر إظهار الحق للعلامة رحمة الله بن خليل العثماني الكيرانوي ١/٢٠٩-٢١٣ بتصرف
وتهذيب.

المبحث الخامس: فوز التابعين

المطلب الأول: التعريف بالتابعين ومكانتهم

التابعون: هم الذين سمعوا الحديث من أصحاب النبي ﷺ ، والصحابة مشهود لهم بالعدل والاستقامة بصريح القرآن الكريم في قوله تعالى: (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم) التوبة: ١١٧ "شاهد لكل من حضر مع رسول الله، ﷺ غزوة تبوك من أصحابه بالجنة فيكونون مضمومين إلى العشرة المشهود لهم بها، وكل من شهد غزوة تبوك من أصحاب رسول الله ﷺ فهو معه في الجنة على ما كان فيه بشهادة هذه الآية له وهي حق." ٢٦

وكذلك التابعون في قوله تعالى: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) التوبة: ١٠٠

^{٢٦} النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام ٥٦٧/١، المؤلف: أحمد محمد بن علي بن محمد الكرجي القصّاب (المتوفى: نحو ٣٦٠هـ)

قال ابن القصاب في النكت: "شاهد لهم بالجنة أيضاً، وفيهم العشرة وغيرهم، وقد سعد التابعون لهم أيضاً بهذه الآية كما ترى".^{٢٧}

وفي الحديث الصحيح: "خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"^{٢٨}. وعن هؤلاء البررة الكرام وصل إلينا كتاب الله العزيز، وعنهم أخذنا السنة النبوية الطاهرة، فهل يقع في وهم واهم - غير صاحب المشروع - أن هؤلاء الصفوة من الأصحاب، ثم التابعين يتهاونون في النقل عن رسول الله ﷺ ويزورون أحاديثه!!

^{٢٧} النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام ١/٥٧٣

^{٢٨} أخرجه البخاري برقم (٢٦٥١) ولفظه: "عمران بن حصين رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ: «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» - قال عمران: لا أدري أذكر النبي ﷺ بعد قرنين أو ثلاثة - قال النبي ﷺ: «إن بعدكم قوما يخونون ولا يؤمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن". قال الشارح الدكتور مصطفى ديب البغا في تعليقه على الحديث: " (قرني) أهل قرني وهم أصحابي والقرن مائة سنة أو أهل زمان واحد سمووا بذلك لاقتراهم في الوجود وقيل غير ذلك. (يلونهم) يأتون بعدهم قريبين منهم. (يظهر فيهم السمن) المعنى أنهم يحبون التوسع في المأكول والمشارب التي هي أسباب السمن وقيل غير ذلك".

ومن الذي قاوم ظاهرة وضع الحديث ووقف لها بالمرصاد إلا التابعون وهذا كله كان في القرن الأول قبل تدوين الحديث، فلما استقر تدوين الحديث بلفظه ومعناه منع العلماء روايته بالمعنى.^{٢٩}

الخلاصة:

إن الصحابة كلهم عدول بشهادة الله لهم وشهادة الرسول الكريم ﷺ، وكذلك التابعون لهم بإحسان، بشهادة القرآن الكريم، قال الله تعالى: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم)، التوبة: ١٠٠.

فهذه شهادة وتركبة غالية من الله - عز وجل - للصحابة والتابعين معاً. رجال خير القرون في أمة الإسلام فماذا يقول منكرو السنة الحاقدون فيمن أثنى الله عليه هذا الثناء. والله لا يحابي أحداً، ولا يقول إلا الصدق فقد (رضى عنهم، ورضوا عنه ... وذلك هو الفوز العظيم).

وقال الله تعالى: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم

^{٢٩} أخطاء وأوهام في أضخم مشروع تعسفي هدم السنة ٣٢/١، عبد العظيم إبراهيم المطعني (المتوفى: ١٤٢٩هـ).

من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيماً) الفتح: ٢٩.

وهذه شهادة وتركية خاصة بالصحابة - رضي الله عنهم - أما شهادة الرسول ﷺ فما أكثر ما ورد فيها، وحسبنا منها قوله ﷺ "خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم." رضي الله عنهم وخير القرون الثلاثة هو قرنه ﷺ وفيه عاش أصحابه الأبرار، وبهم صار خير القرون.

هذا هو الحق، ولكن منكري السنة يريدون أن يخلطوا بين سيرة الصحابة، البررة، وسيرة المنافقين، فيجعلون المنافقين من الأصحاب، ويبيتون لهم الخيانة. والمنافقون كفره وإن أظهروا الإيمان. فسقة وإن تظاهروا بالتقوى، وما نخال أن هذه الحقائق تغيب عن منكري السنة ولكن العناد والمكر السيء هو الذي ران على قلوبهم فقسى، وغشى أبصارهم فعميت، والله في خلقه شؤون.^{٣٠}

^{٣٠} الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية عرض وتفنيذ ونقض ٩٨/١، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني بتصرف.

المطلب الثاني: كبار التابعين وأشهرهم

١- سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب

سالم بن عبد الله بن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، الإمام الزاهد، الحافظ، مفتي المدينة، ولد في خلافة عثمان.

أخذ سالم بن عبد الله العلم والحديث عن أبيه فجود وأكثر، وعن أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر وذلك في سنن النسائي، وأبو هريرة وذلك في البخاري ومسلم، وعن زيد بن الخطاب العدوي، وأبي لبابة بن عبد المنذر وذلك مرسل، وعن رافع بن خديج، وسفيينة، وأبي رافع مولى النبي، وسعيد بن المسيب، وامرأة أبيه صفية.

٢- الحسن البصري:

هو إمام وعالم من علماء أهل السنة والجماعة، ويكنى بأبي سعيد ولد قبل سنتين من نهاية خلافة عمر بن الخطاب في المدينة عام واحد وعشرين من الهجرة، كانت أم الحسن تابعة لخدمة أم سلمة، فترسلها في حاجاتها فيبكي الحسن وهو طفل فترضعه أم سلمة لتسكته وبذلك رضع من أم سلمة، وترى في بيت النبوة، كانت أم سلمة تخرجه إلى الصحابة فيدعون له، ودعا

له عمر بن الخطاب، فقال "اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس"، حفظ الحسن القرآن في العاشرة من عمره.

نشأ في الحجاز بين الصحابة، ورأى عدداً منهم وعاش بين كبارهم، مما دفعه إلى التعلم منهم، والرواية عنهم، وحضر الجمعة مع عثمان بن عفان وسمعه يخطب، وشهد يوم استشهاده، وكان عمره أربع عشرة سنة.

وفي سنة ٣٧ هـ انتقل إلى البصرة، فكانت بها مرحلة التلقي والتعلم، حيث استمع إلى الصحابة الذين استقروا بها، وفي سنة ٤٣ هـ عمل كاتباً في غزوة لأمير خراسان الربيع بن زياد الحارثي لمدة عشر سنوات، وبعد رجوعه من الغزو استقر في البصرة، إذ أصبح أشهر علماء عصره ومفتيها حتى وفاته.

٣- سعيد بن المسيب المخزومي القرشي:

من كبار التابعين وعالم أهل المدينة في زمانه، كنيته أبو محمد، ولد بعد سنتين من خلافة عمر بن الخطاب. كان سعيد بن المسيب من كبار أهل العلم في الحديث والفقه والتفسير القرآني، يعتبر سيد فقهاء المدينة والتابعين، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع واسع العلم ويقال له فقيه الفقهاء، كان رجلاً وقوراً له هبة عند مجالسيه فكان يغلب عليه الجد عفيفاً معتزاً بنفسه

لا يقوم لأحد من أصحاب السلطان ولا يقبل عطاياهم ولا هداياهم ولا التملق لهم أو الاقتناع بهم.

٤- عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي:

تابعي جليل، يُكنى بأبي عبد الله، عالم أهل المدينة وأحد فقهاء السبعة، كان فقيهاً علماً ثباتاً، اختلفت المصادر في سنة مولده، فقيل كانت ولادته سنة اثنتين وعشرين، وقيل ولد في آخر خلافة عمر وكان أصغر من أخيه عبد الله بعشرين سنة.

يعد عروة بن الزبير من أول من صنف في المغازي كما ذكر الواقدي وتشير المصادر إليها بأنها صحف، أي مرويات تجمع في صحف متفرقة لا يجمعها كتاب واحد، وكان هذا هو السائد في بداية التدوين، ومن أشهرها السيرة لابن هشام، والمغازي للواقدي، والطبقات لابن سعد، وتاريخ الرسل والملوك للطبري، والبداية والنهاية لابن كثير.

٥- عبيد الله بن عبد الله بن عتبة

هو أبو عبد الله عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي مفتي المدينة وأحد الفقهاء السبعة، ومن أعلام التابعين، وكان معلم عمر بن عبد العزيز، وكانت وفاته سنة ٩٨هـ.

يقول الزهري عنه "ما جالست أحداً من العلماء إلا وأراني قد أتيت على ما عنده ما خلا عبيد الله فإنهم آتاه إلا وجدت عنده علماً طريفاً"، وروى أنه كان يقول "ما سمعت حديثاً قط فأشاء أن أعيه إلا وعيته، ويقول ابن شهاب الزهري: كنت أخدم عبيد الله بن عبد الله حتى أنى أستقى له الماء من البئر".

الفصل الثاني:

المبحث الأول: عوامل الفوز في عصر الغنائية

المقصود من عصر الغنائية، تكالب الأعداء على الإسلام وأهله، مع كثرة عددهم وعددهم وقد جاء هذا الوصف في الحديث الصحيح: عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها». قال: قلنا: يا رسول الله، أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: «أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل، تنتزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن». قال: قلنا: وما الوهن؟ قال: «حب الحياة وكرهية الموت»^{٣١}

للفوز بالنصر عوامل وأسباب، سيتحقق مهما ضاقت الحيل على المسلمين وشدت الخناق للعوامل الآتية:

أولاً: وعد الله لا يتخلف في نصره دينه، إذا ما كان تمثيل أهله وفق منهج الله تعالى وضوابطه، وهذه آيات تثبت المؤمنين الذين لا تنطفئ شعلتهم، وهم الفائزون بنشر هذه الرسالة بحرقه وحكمة حتى يرث الله الأرض ومن

^{٣١} «، أخرجه أحمد في مسنده برقم (٢٢٣٩٧)، قال محققه الشيخ شعيب الأرنؤوط: وهو حديث حسن.

عليها. قال تعالى: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون * وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون)، النور: ٥٥، ٥٦.

وقال تعالى: (ألا إن الله ما في السماوات والأرض ألا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون)، يونس: ٥٥. وقال تعالى: (ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون)، الروم: ٥ - ٧.

وقال تعالى: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون إن في هذا لבלاغاً لقوم عابدين وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء: ١٠٥ - ١٠٧.

وللمضي قدماً في نشر العدل والخير والفضيلة لا بد له من عقول وقلوب مستشعرة لهذا الواجب الشاق، وأن تعمل بكل طاقاتها لتحصيل أسبابه، وأن تضع وعد الله نصب عينها ليكون لها حافزاً ودافعاً من دوافع البذل والتضحية والعمل الدؤوب، واستشعار قول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا

إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعسأ لهم وأضل أعمارهم)، محمد: ٧، ٨.

ثانياً: وعلو الحق وغلبة أهله حاصلة لا محالة مهما تأخر النصر، لأنه قد يتخلف أحياناً لابتلاء أعوانه واكتشاف معادن إيمانهم وقوة عقيدتهم، وقد يتأخر لأن قومه لا يملكون مقومات إظهاره ... ولكن في النهاية لا بد للحق أن تعلو رايته، وتحقق أعلامه، ويسود أهله، وأن الباطل مهما علا صوته سيأتي وقت يأذن الله فيه بانكسار شوكته، واندحار جنده، وفضيحة حربه، قال تعالى: (ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين * ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون)، الأنفال: ٧، ٨، وقال تعالى: (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً)، الإسراء: ٨١.

وقال تعالى: (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون)، الأنبياء: ١٨.

وقال تعالى: (ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير)، الحج: ٦٢.

وقال تعالى: (فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون)،
الروم: ٦٠. ٣٢

ثالثاً: شأن الحق في ارتفاع، وأمر الدعوة إلى الله في انتشار، وجند الله ودعائه
سيكتب لهم الانتصار، قال تعالى: (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم
حتى يتبين لهم أنه الحق)، فصلت: ٥٣، أي: الإسلام. (أولم يكف بربك أنه
على كل شيء شهيد) فصلت: ٥٣. قال تعالى: (إنا لننصر رسلنا والذين
آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم
اللعنة ولهم سوء الدار)، غافر: ٥١، ٥٢.

رابعاً: المؤمن الحق لا تنطلي عليه أساليب أعداء الرسول والرسالة، فهي
باطل متكرر بصور وأساليب وأدوات مختلفة، أمام الحق والعدل الذي لا
بتغير ولا يتعدد، وهو مشروح في الدستور الإسلامي الأصيل.

خامساً: الترغيب بذكر أحوال المؤمنين في الجنة وما أعد الله لهم: وهذا النوع
من الترغيب يزخر به كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله ﷺ ولا يحصر ما أعد
الله لعباده المؤمنين في جنات النعيم من النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول،
ولهذا قال ﷺ فيما يرويه عن ربه - تبارك وتعالى -: " قال الله: أعددت
 لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب

^{٣٢} أصول الدعوة وطرقها ١/ ٧٢ بتصرف.

بشر، فاقراًوا إن شئتم: (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين)،
السجدة: ١٧، وهذا مما يجعل العاقل يشمر عن ساعد الجد؛ ليسعد بهذا
الفوز العظيم، والسعادة الأبدية، والنعيم الدائم الذي يعجز دونه الوصف^{٣٣}

^{٣٣} الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ٢/٤٩٣، المؤلف: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني.
والحديث أخرجه البخاري برقم (٣٢٤٤)، ومسلم برقم (٢٤٢٨). وغيرهما.

المبحث الثاني: الفوز العكسي

المراد بالفوز العكسي، الفوز بمعنى الهلكة:

كأن يفوز بأسفل الدركات، وهذا مستعمل في اللغة العربية، حيث أطلقوا على اللديغ السليم، قال الأصمعي: إنما سمي اللديغ سليماً لأنهم تطيروا من اللديغ فقلبوا المعنى كما قالوا للحبشي: أبو البيضاء وكما قالوا للفلاة: مفازة تطيروا إلى الفوز وهي مهلكة ومهلكة وذلك لأنهم تطيروا إليه"^{٣٤}

وهذا التعبير من أسلوب القرآن الكريم المعجز، وذلك أن بشارة المؤمن تأتي بأظهر وصف وأتمه، وبالمقابل يستعمل القرآن أسلوب القلب عندما يتحدث عن المخالف، فيعده بالعذاب الأليم مقابل وعد الله المؤمن بالنعيم المقيم. قال تعالى: (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري

^{٣٤} غريب الحديث ١/٧٤، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى:

وكنتم منهم تضحكون إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون).
الأنعام: ١٦

قال في نظم الدرر: " لما تشوفت النفس بعد العلم بما فعل بأعدائهم إلى جزائهم، قال: (إني جزيتهم) أي مقابلة على عملهم (اليوم بما صبروا) أي على عبادتي، ولم يشغلهم عنها تألمهم بأذاكم كما شغلكم عنها التذاكم بإهانتهم، فوزهم دونكم، وهو معنى قوله: (أنهم هم) أي خاصة الفائزون أي الناجون الظافرون بالخير بعد الإشراف على الهلكة، وغير العبارة لإفادة الاختصاص والوضوح والرسوخ، وكسر الهمزة حمزة والكسائي على الاستئناف.

ولما كان الفائز - وهو الظافر - من لم يحصل له بؤس في ذلك الأمر الذي فاز به، وكان قد أشار سبحانه بحرف الغاية وما شاكله إلى أنه مد لأهل الشقاء في الدنيا في الأعمار والأرزاق حتى استهانوا بعبادة السعداء، فكان ربما قيل: إن أعداءهم فازوا بالاستهزاء بهم والرفعة عليهم في حال الدنيا، وكان سبحانه قد أسلف ما يرد ذلك من الإخبار بأنه خلدهم في النار وأعرض عنهم وزجرهم عن كلامه، وكان أنعم أهل الدنيا إذا غمس في النار غمسة ثم سئل عن نعيمه قال: ما رأيت نعيماً قط، فكان ذلك محزناً لتقريع الأشقياء بسبب تضييع أيامهم وتنديهم عليها. تشوف السامع إلى أنه هل

يسألهم عن تنعيمه لهم في الدنيا الذي كان جديراً منهم بالشكر فقابلوه بالكفر والاستهزاء بأوليائه؟ فأجاب تشوفه ذلك مجهاً لهم ومنمداً ومنبهاً على الجواب أن فوزهم في الدنيا - لقلته التي هي أحقر من قطرة في جنب بحر - عدم، بقوله: (قال) تأسفاً على ما أضاعوا من عبادة يسيرة تؤرثهم سعادة لا انقضاء لها وارتكبوا من لذة قليلة أعقبتهم بؤساً لا آخر له - هذا على قراءة الجماعة".^{٣٥}

أهل الهلكة (المنافقون الشامتون) خاسرون:

قال تعالى: (إن شأنك هو الأبتى) الكوثر: ٣، كان المنافقون إذا رأوا ما فيه المؤمنون من الشدة والبأساء يمنون أنفسهم بغلبة إخوانهم القدماء من الجاحدين. وينتظرون السوء بالمسلمين لقلة عددهم وخلو أيديهم من المال. وكان الضعفاء من حديثي العهد بالإسلام من المؤمنين، تمر بنفوسهم خواطر السوء عند ما تشتد عليهم حلقات الضيق، فأراد الله سبحانه أن يحص من نفوس هؤلاء، ويبيكت الآخرين، فأكد الخبر لنبيه ﷺ، أن ما يخيله النظر القصير قليلاً، هو الكثير البالغ الغاية في الكثرة، ليؤكد له الوعد بأنه هو

^{٣٥} نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٣/١٩٢ إبراهيم بن عمر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ).

الفائز وأن متبعه هو الظافر، وإن عدوه هو الخائب، الأبر الذي يمحي ذكره
ويعفى أثره.^{٣٦}

^{٣٦} محاسن التأويل ٩/٥٥٥، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الخلاق القاسمي
(المتوفى: ١٣٣٢هـ)،

المبحث الثالث: الفوز من ثمرات الإيمان

١- من ثمرات الإيمان: الفوز برضا الله، ودار كرامته:

قال الله تعالى: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم) التوبة: ٧١ - ٧٢.

فنالوا رضا ربهم ورحمته، والفوز بهذه المساكن الطيبة - بإيمانهم الذيكملوا به أنفسهم، وكملوا غيرهم بقيامهم بطاعة الله ورسوله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاستولوا على أجل الوسائل، وأفضل الغايات وذلك فضل الله تعالى".^{٣٧}

٢- ومن ثمرات الفوز: الوقاية من السيئات - من باب الاستلزام -:

قال الله تعالى في حكايته استغفار الملائكة للمؤمنين: (وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم) غافر: ٩ ومن وقاه الله السيئات وأعاده منها فقد وقاه عقوبتها من باب الاستلزام، فإذا علم أن موجب السيئات هو الظلم والجهل وذلك من نفس العبد وهي أمور

^{٣٧} التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ١/ ٨٦، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ).

ذاتية لها، وأن السيئات هي موجب العقوبة والعقوبة من الله عدل محض، وإنما تكون شراً في حق العبد لما يلحقه من ألمها، وذلك بما كسبت يدها جزاء وفاقاً كما قال تعالى: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير)، الشورى: ٣٠ وقال تعالى: (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين)، الزخرف: ٧٦ وقال تعالى: (إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون)، يونس: ٤٤ فأفعال الله عز وجل كلها خير بصدورها عن علمه وحكمته وعدله وغناه التي هي من صفات ذاته، فإذا أراد بعبده الخير أعطاه من فضله علماً^{٣٨}.

الفوز الحقيقي يثبت في الآخرة:

قال الله تعالى: (ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم) آل عمران: ١٠١، من يعتصم بالله فقد حصل له الهدى لا محالة، كما تقول: إذا جئت فلاناً، فقد أفلحت، كأن الهدى قد حصلن فهو يخبر عنه حاصلاً، وإليه أشار بقوله: "فخوطفوا بما دل على ثبات ما توقعوه". فإن قلت: إن قد لتوقع مدخوله، فيفيد أن حصول الفلاح كان متوقعاً، وأما البشارة كانت متوقعة فلا.

^{٣٨} معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ١/٣٢٦، حافظ بن أحمد الحكمي (المتوفى:

١٣٧٧هـ).

المفلح: هو الفائز بالبُغية، والمؤمنون وإن فازوا بالهدى عاجلاً بالأعمال الصالحة الظفر على أعداء الدين لكن الفوز الحقيقي الذي هو الفلاح لا يثبت إلا في الآخرة، كما قال تعالى: (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) البقرة: ٥، فكانوا متوقعين البشارة من جانب الله بذلك، فقليل لهم (قد أفلح لمؤمنون)"^{٣٩}

إذن مهما حقق المسلم الفوز في الدنيا، فإنه يبقى محدود الأجل، سريع الذهاب، ولكن لما كان الفوز في الدنيا خطوة مهمة في نيل الفوز في الآخرة، كان تثبيت الله تعالى للمؤمن المواظب على إيمانه الثابت في يقينه هو الفوز الحقيقي حتى يدخله الجنة، وهذا معنى (ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم) آل عمران: ١٠١

قال الطبري: " فإنه يعني: ومن يتعلق بأسباب الله، ويتمسك بدينه وطاعته "فقد هدى"، يقول: فقد وفق لطريق واضح، ومحجة مستقيمة غير معوجة، فيستقيم به إلى رضى الله، وإلى النجاة من عذاب الله والفوز بجنته"^{٤٠}

^{٣٩} فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرب (حاشية الطيبي على الكشاف) ١٠/٥٤١.

^{٤٠} جامع البيان في تأويل القرآن ٦١/٧.

المبحث الرابع: من وسائل الفوز

أ- الصبر والتوسل إلى الله بالصلاة:

من أعظم الأعمال الصالحات التي يتوسل بها إلى الله عند الكربات، "الصبر والصلاة". فقد كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر توسل إلى الله تعالى بالصلاة، وقد صرح المفسرون من علماء الحنفية في بيان معنى هذه الآية بأن الله تعالى لما أمر اليهود بترك الضلال والالتزام بالشرائع، وكان ذلك شاقاً عليهم - عالج مرضهم بهذا الخطاب، فأمرهم بالاستعانة بالصبر بأن يصبروا؛ لما فيه من كسر الشهوة، وتصفية النفوس، الموجبين للانقطاع إلى الله تعالى، ولأن الصبر موجب لإجابة الدعاء. وأما الاستعانة بالصلاة - فلما فيها من أنواع العبادة مما يقرب إلى الله تعالى قرباً يقتضي الفوز بالمطلوب والعروج إلى المحبوب".^{٤١}

ب- علم اليقين:

"وسماه الغزالي بعلم الباطن" قال الغزالي: "علم الباطن هو علم يقين المقربين، وثمرته الفوز برضا الله تعالى، ونيل سعادة الأبد، وبه تزكية النفس وتطهيرها،

^{٤١} جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ٣/١٢٦٣، شمس الدين بن محمد الأفغاني (المتوفى: ١٤٢٠هـ).

وتنوير القلب وصفاءه بحيث ينكشف بذلك النور أمور جلييلة، ويشهد أحوالا عجيبة، ويعاين ما نمت عنه بصيرة"^{٤٢}

ج- طاعة الله ورسوله:

قال تعالى: (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتاً وإذا لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً ولهديناهم صراطاً مستقيماً). النساء: ٦٦

قال ابن القيم في تعليقه على هذه الآية: "أخبر تعالى أنهم لو فعلوا ما يعظم به، وهو أمره ونهيهم المقرون بوعده ووعيده لكان فعل أمره، وترك نهيه خيراً لهم في دينهم ودنياهم، وأشد تثبيتاً لهم على الحق، وتحقيقاً لإيمانهم، وقوة لعزائمهم وإراداتهم، وثباتاً لقلوبهم عند جيوش الباطل، وعند واردات الشبهات المضلة، والشهوات المردية.

فطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ هي سبب ثبات القلب، وقوته قوة عزائمه وإراداته، ونفاذ بصيرته، وهذا دليل على أن طاعة الرسول ﷺ تثمر الهداية، وثبات القلب عليها، ومخالفته تثمر زيغ القلب، واضطرابه، وعدم ثباته".

ثم قال تعالى: (وإذا لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً ولهديناهم صراطاً مستقيماً)، فهذه أربعة أنواع من الجزاء المرتب على طاعة الرسول ﷺ:

^{٤٢} التَّصَوُّف.. المنشأ والمصادر ١/٢٤٨، المؤلف: إحسان إلهي ظهير الباكستاني (المتوفى:

أحدها: حصول الخير المطلق بها.

الثاني: الثبوت والقوة المتضمن للنصر والغلبة.

والثالث: حصول الأجر العظيم لهم في الآخرة.

والرابع: هدايتهم الصراط المستقيم. وهذه الهداية هي هداية ثانية أوجبتها طاعة الرسول ﷺ فطاعته ﷺ ثمرة الهداية السابقة عليها فهي محفوفة بهدائيتين: هداية قبلها وهي سبب الطاعة، وهداية بعدها هي ثمرة لها، وهذا يدل على انتفاء هذه الأمور الأربعة عند انتفاء طاعة الرسول ﷺ.

ثم قال تعالى: (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً). النساء: ٦٦

"فأخبر سبحانه أن طاعته وطاعة رسوله ﷺ توجب مرافقة المنعم عليهم، وهم أهل السعادة الكاملة، وهم أربعة أصناف: النبيون وهم أفضلهم ثم الصديقون وهم بعدهم في الدرجة، ثم الشهداء، ثم الصالحون فهؤلاء المنعم عليهم النعمة التامة وهم السعداء الفائزون، ولا فلاح لأحد إلا بموافقتهم، والكون معهم، ولا سبيل إلى مرافقتهم إلا بطاعة الرسول ﷺ ولا سبيل إليها إلا بمعرفة سنته وما جاء به فدل على أن من عدم العلم بسنته وما جاء به، فليس له إلى مرافقة هؤلاء سبيل، بل هو ممن يعرض على يديه يوم القيامة،

ويقول: (يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً) الفرقان: ٢٧. قلت: والقول لابن قيم الجوزية، ما لم يحكّم الرسول ﷺ في موارد النزاع إلى مرافقة هؤلاء المنعم عليهم سبيل، وكيف يكون له سبيل إلى ذلك، وعنده أن من حكم الرسول ﷺ في موارد النزاع، فهو إما زنديق أو مبتدع، وأنى له بطاعة الله ورسوله، وهذا أصل اعتقاده الذي بنى عليه دينه، ومع ذلك (ويحسبون أنهم مهتدون) النور: ٥٥ إذا حكموا غير الرسول ﷺ ونبدوا حكمه وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون.^{٤٣}

د- ترك الشهوات لله يوجب الفوز برحمة الله تعالى:

"ذخائر الله وكنوز البر ولذة الأنس والشوق إليه والفرح والابتهاج به لا يحصل في قلب فيه غيره - سبحانه وتعالى - وإن كان من أهل العبادة والزهد والعلم فإن سبحانه أبى أن يجعل ذخائره في قلب فيه سواه وهمة ومتعلقة بغيره، وإنما يودع ذخائره في قلب يرى الفقر غنى مع الله والغنى فقراً دون الله والعز ذلاًّ ودونه والذل عزاً ومعه والنعيم عذاباً ودونه والعذاب نعيماً معه.

^{٤٣} الوابل الصيب من الكلم الطيب ١/٧٢، محمد بن أبي بكر بن شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، بتصرف.

وبالجملة فلا يرى الحياة إلا به ومع الموت والألم والهم والغم والحزن إذا لم يكن معه فهذا له جنتان جنة في الدنيا معجلة وجنة يوم القيامة"٤٤

و- توحيد رجاء الله تعالى:

من أعظم أسباب نجاته وكذلك من رجا شيئاً غير الله حرم ما رجاه منه، وكان رجاءه غير الله من أقوى أسباب حرمانه، فإذا رجا الله وحده، كان توحيد رجائه أقوى أسباب الفوز بما رجاه أو بنظيره أو بما هو أنفع له منه".٤٥

ز- الرفق والمعاملة الحسنة الكريمة:

المعاملة الحسنة، والسلوك الطيب، والأخلاق الكريمة "هي التي أُلانَت لرسول الله ﷺ قلوب الأعراب الغلاظ الجفاة، وأدت إلى سرعة استجابتهم لدعوته وقبولها، والنصح والتواصي بالخير بالحق من صفات المؤمنين الصالحين وسبب من أسباب الفوز يوم الفرع الأكبر".٤٦

٤٤ الفوائد ١/١٩٥، ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ).

٤٥ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ٢٧٣/٢ ابن قيم الجوزية.

٤٦ متطلبات المحافظة على نعمة الأمن والاستقرار في بلادنا ٣٧/١، سليمان بن عبد الرحمن الحقييل.

ح- السمو إلى مستوى جديد في فهم الإنسان لأصله ومستقبله:

الأساس في مستقبل الإنسان المسلم هو الآخرة، وعندما يلحق الوالدان أولادهما للسعي وراء مستقبل ناجح فالح، يقتصرون توجيهاتهم على نجاح الدنيا، وبالتالي، فإن الولد لم يعد يفكر إلا فيما لقنه والداه، أما المستقبل الحقيقي فهو معرفة جواب الأسئلة التالية:

- من أين جاء، وإلى أين المصير - هو وحده الذي يكفل له آخر الأمر الفوز على مجتمع يحركه تنافس وحشي، وعلى حضارة فقدت وحدتها الروحية. بما انطوت عليه من صراع بين القيم الدينية والقيم السياسية، والدين من حيث هو سعي المرء سعياً مقصوداً للوصول على الغاية النهائية للقيم، فيمكنه بذلك أن يعيد تفسير قوى شخصيته هو حقيقة لا يمكن إنكارها^{٤٧}

ط- الترغيب أسلوب عظيم من أساليب الدعوة إلى الله تعالى:

وفي هذه الأحاديث ترغيب عظيم في الجهاد في سبيل الله تعالى، وأن المشاركة في الجهاد بغدوة أو راحة، أو رباط يوم في سبيل الله - عز وجل - يحصل بها الفوز العظيم والثواب الكبير وذلك خير من الدنيا وما فيها وما عليها؛ ولهذا بين النبي ﷺ أن موضع قدم، أو موضع سوط، أو خمار

^{٤٧} الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ١/٣٣٩، المؤلف: محمد البهي (المتوفى:

امرأة من أهل الجنة على رأسها، خير من الدنيا وما فيها، وهذا وصف لا يدور بالخيال؛ وقد قال النبي ﷺ: " يقول الله تعالى: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»^{٤٨} ولأهمية الترغيب قال الله عز وجل: (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين)، السجدة: ١٧. وهذا يوضح للدعاية عظم أمر الترغيب وعلو شأنه، وأن له التأثير العظيم في النفوس، فينبغي أن يستخدم هذا الأسلوب في دعوة الناس وتوجيههم إلى الخير".^{٤٩}

ي- الثبات على الحق والدوام على الطاعة والعبادة أمور مطلوبة: لأن الأمور بخواتيمها، وبدون الاستقامة والدوام والثبات على الحق تفوت الثمرة، ولا يصل المسلم إلى الغاية، وينقطع عن ركب الصالحين، من أجل هذا وجب على المسلم أن يكون على قدر كبير من الثبات على معاني الإيمان والاستقامة عليها؛ لينال الفوز والرضوان (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون).^{٥٠} "يروى عن ابن عباس أن هذا في يوم القيامة. قال زيد بن

^{٤٨} أخرجه البخاري برقم: (٣٢٤٤) ومسلم، برقم، (٢٨٢٤).

^{٤٩} فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري ١/١٩٠.

^{٥٠} أصول الدعوة ١/٨٥، المؤلف: عبد الكريم زيدان.

أسلم: هذا عند الموت قال: والبشارة في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر
وعند البعث^{٥١}

^{٥١} إعراب القرآن ٤/٤٢ المؤلف أبو جعفر النّحاس أحمد بن محمد المرادي النحوي (المتوفى:

المبحث الخامس: مقارنة بين أهل الفوز والخسران

"بين الفوز والخسران درجات كما بين السماء والأرض، "فالعمل لمتاع الدنيا ونسيان الآخرة يعقبه الحسرة والندامة ودخول النيران، قال الله تعالى: (كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) آل عمران: ١٨٥" ^{٥٢}

والفوز لا بدَّ له من علم نافع قائم على عقيدة راسخة، يتوجه عمل وسلوك وأدب وتصرف مسؤول فيه المهمة والعزيمة والاستشعار، الذي كان عليه السلف الصالح، من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، والعلماء العاملين.

قال أبو حامد الغزالي:

"وقد أجمعوا على أن الفوز والنجاة لا تحصل إلا بالعلم والعمل جميعاً، وأن اتفقوا على أن العلم أشرف من العمل. وكأن العمل متمم له وسائق بالعلم إلى أن يقع موقعه، ولأجله قال الله تعالى: (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)، والكلم الطيب يرجع إلى العلم عند البحث، فهو الذي

^{٥٢} الجنة والنار ١/٢٢٨، المؤلف: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي.

يصعد ويقع الموقع، والعمل كالخادم له يرفعه ويحمله. وهذا تنبيه على علو رتبة العلم^{٥٣}

وقال: " قال بعض المحققين: الناس ثلاثة، رجل شغله معاده عن معاشه، فهو من الفائزين، ورجل شغله معاشه عن معاده، فهو من الهالكين، ورجل مشغول بهما، وذلك درجة المخاطرين، والفائز أحسن حالا من المخاطر، فاعلم أن فيه سرا، وهو أن المنازل الرفيعة لا تنال إلا باقتحام الأخطار. وإنما هذا الكلام ذكر تحذيرا وتنبها على خطر الخلافة لله تعالى في أمر عباده، حتى لا يترشح لها من لا يقدر عليها." ^{٥٤}

ولابن الخراط كلام مفيد عن صفات المؤمنين المتقين المستجيبين لله ولرسوله، وصفات المجرمين الذين يسألون يوم القيامة ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيو الدين حتى أتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين..) وتكون عاقبتهم بناء على إجرامهم يحشرون بصور قبيحة مروعة كما

جاء في قوله تعالى: " (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشراً نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوماً).

^{٥٣} ميزان العمل ١/ ١٩٤، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٥٠ هـ)، .

^{٥٤} ميزان العمل: ١/ ١٨٥

طه: ١١ أي يقول ذلك بعضهم إلى بعض سراً فيقول أعدلهم قولاً وأرجحهم عقلاً إن لبثتم إلا يوماً أي ما لبثتم في القبور إلا يوماً واحداً ويروى عن مجاهد أنه قال للكفار هجعة قبل يوم القيامة يجدون فيها طعم النوم فإذا بعثوا قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا فيقول لهم المؤمنون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فيخرج الخلائق مذعورين خائفين وجلين وإذا المنادي ينادي يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون فيطمع في هذا المؤمنون والكافرون فينادي المنادي الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فينكس الكفار رؤوسهم ويبقى المسلمون فينادي المنادي الثالثة الذين آمنوا وكانوا يتقون فينكس أهل الكبائر رؤوسهم ويبقى أهل التقوى رافعي رؤوسهم قد زال عنهم الخوف وذهب عنهم الحزن وغشيهم الفوز والأمن ذلك يوماً يجعل الولدان شيباً ولا ترى فيه إلا حزينا كئيباً يوم تشقق السماء كأنها السحاب وتسير الجبال كأنها السراب" ٥٥ قال الله تعالى: في صفة الجنة وما أعد الله لأهلها (إن المتقين في مقام أمين في جنات وعيون يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلاً من ربك ذلك هو الفوز العظيم). الدخان: ٥"

٥٥ العاقبة في ذكر الموت ٣٤١/١ عبد الحق، الأندلسي المعروف بابن الخراط (المتوفى: ٥٥٨١هـ)،

وقال الله تعالى: (لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون)، يقول تعالى ذكره: لا يعتدل أهل النار وأهل الجنة، أهل الجنة هم الفائزون، يعني أنهم المدركون ما طلبوا وأرادوا، الناجون مما حذروا.^{٥٦}

وذكر أهل الفوز من أهل الخسران بقوله: (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) آل عمران الآية ١٨٥).

فإن أهل السعادة من رغبوا في جنته ورهبوا من النار، فأطاعوه وأطاعوا رسله، وآمنوا بما أنزل إليهم من ربهم، وعملوا بما أمروا فدخلوا الجنة.

وأهل الشقاء من لم يرغب في الجنة ولم يرهب من النار، فعصوا الله ورسله وكفروا بما أنزل إليهم من ربهم. (فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق، خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد، وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ) هود الآية ١٠٦ , إلى ١٠٨.

^{٥٦} العاقبة في ذكر الموت ١/٢٧٤، مع البيان في تأويل القرآن ٢٣/٣٠٠، محمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ).

(ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم). النساء الآية ١٣..٥٧ وجاء في تأويل قوله تعالى: (فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه) يروى إذا كان يوم القيامة عرض الخلق ثلاث عرضات في الاثنين منها الاحتجاج والاعتذار والتوبيخ، وفي الثالثة تنثر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهاالك كتابه بشماله".^{٥٨}

هناك طريقان لا ثالث لهما:

١- سبيل الرسول وهو سبيل الله تعالى.

"سبيل الرسول ﷺ وهو الطريق الذي سلكها رسول الله المؤدي إلى مرضاة الله - عز وجل - وهو سبيل الرشd والهداية.

فسبيل الله - عز وجل - وسبيل رسول الله، هما سبيل واحد، يؤدي إلى الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة.

^{٥٧} تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد / ٤٨٩، سليمان بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: ١٢٣٣هـ).

^{٥٨} معاني القرآن وإعرابه ٢١٧/٥، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ).

٢- وهناك أيضاً (سبيل المجرمين) المؤدي إلى الطاغوت وهو سبيل الغي، وهو أيضاً سبيل الظالمين (ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً).

فسبيل الظالمين وسبيل المجرمين سبيل واحد، وهو السبيل الذي ليس فيه إتباع للرسول ﷺ إذن فسبيل رسول الله هو السبيل الموصل إلى مرضاة الله - عز وجل -.

وكما أن طريق تصنيع الطائرات طريق واحد، وطريق التجارة طريق واحد وطريق الزراعة طريق واحد، وكذلك الدين هو الطريق الوحيد لتصنيع الرجال^{٥٩}

^{٥٩} الأنوار النعمانية في الدعوة الربانية ١/١٤٩، محمد علي محمد إمام،

الفصل الثالث:

المبحث الأول: من أسباب الخسران: عدم التفريق بين حسن الظن والغرور

الفرق بين حسن الظن والغرور، هو: أن حسن الظن إن حمل على العمل، وحث عليه، وساق إليه، فهو صحيح، وإن دعا إلى البطالة والانهماك في المعاصي فهو غرور. وحسن الظن: هو الرجاء، فمن كان رجاءه يوصله إلى الطاعة، ويزجره عن المعصية، فهو رجاء صحيح، ومن كانت بطالته رجاء، ورجاءه بطالة وتفريطاً، فهو المغرور.

فالمسألة متوقفة على العمل وما يثمر إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، ولهذا وجب التنبيه إلى ضرورة ضبط العمل وفق الشريعة، وإلاكم أناس يفهمون الأمور على غير هدي ومعرفة، فيشوهون الدين، ويقلبون الحقائق، ويفسرون النصوص على هواهم، فيحبط الله عملهم من حيث إنهم يظنون القبول، وقد قال الله في أمثال هؤلاء (فقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً) الفرقان: ٢٣ وهاك أمثلة في أمور الدنيا والدين تصور حسن الظن من المغرور:

أ-ولو أن رجلاً كانت له أرض يؤمل أن يعود عليه من مغلها ما ينفعه فأهملها ولم ييذرها ولم يحرثها، وحسن ظنه بأنه يأتي من مغلها ما يأتي من حرث وبذر وسقى وتعاهد الأرض لعهده الناس من أسفه السفهاء.

ب-وكذلك لو حسن ظنه وقوي رجاءه بأن يجيئه ولد من غير جماع أو يصير أعلم أهل زمانه من غير طلب العلم، وحرص تام عليه، وأمثال ذلك.

ج- فكذلك من حسن ظنه وقوي رجاءه في الفوز بالدرجات العلا والنعيم المقيم، من غير طاعة ولا تقرب إلى الله تعالى بامتنال أوامره، واجتناب نواهيه، فميزانه خاسر ولا بد أن يتمعن في قول الله تعالى: (إن الذين آمنوا والذين هاجروا جاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله) البقرة: ٢١٨. فتأمل كيف جعل رجاءهم إتيانهم بهذه الطاعات؟

وقال المغترون: إن المفرطين المضيعين لحقوق الله المعطلين لأوامره، الباغين على عباده، المتجربين على محارمه، أولئك يرجون رحمة الله.

وسر المسألة: أن الرجاء وحسن الظن إنما يكون مع الإتيان بالأسباب التي اقتضتها حكمة الله في شرعه وقدره وثوابه وكرامته، فيأتي العبد بها ثم يحسن

ظنه بربه، ويرجوه ألا يكله إليها، وأن يجعلها موصلة إلى ما ينفعه، ويصرف ما يعارضها ويبطل أثرها.^{٦٠}

فهذه كلمات في حسن الظن الحقيقي الذي يجب أن يكون عليه المسلم الصادق، فيسلم المسلمون من لسانه ويده، ويأمنه الناس على دمائهم وأعراضهم، ويعمل وفق المنهج الذي جاء به القرآن الكريم وبينته الآيات، والتي طبقها النبي ﷺ وصحابته ومن تبعهم على الشكل الأتم، عملاً بقول الله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) المائدة: ٣.

^{٦٠} الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء ١/٣٩، الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ).

المبحث الثاني: العمل لوحده لا يحقق الفوز

همة الناس في أداء أصناف العبادة تختلف من شخص لآخر، فهناك من يكثر من النوافل، وأيضاً هم مختلفون، فبعضهم تستهويه عبادة الصيام، فهو دائم الصيام، والبعض الآخر دائم القيام، وآخرون يكثرون في عمل الخير للناس خدمة ومساعدة لا يفترون، فهذه الكثرة عند كل صنف ليست وحدها المؤشر على الفوز والنجاة، والنجاح والفلاح في الدين والدنيا، فلا بد من تحقيق صدق النية، وحسن التوكل، والإخلاص، مع اليقين التام ، بأن رحمة الله وعفوه هما الأساس، وعندما يسود هذا الاعتقاد يبقى المسلم يخاف ويرجو، ولا يكل ولا يمل، لأنه لا يعلم أي العمل ينجي، لكنه يدرك ويعلم تماماً أن رحمة الله قريب من المحسنين، وحسبه أنه اعتمد على عفو الله ورحمته وليس على كثرة عمله. " فمدار الفوز بالجنة والنجاة من النار محض رحمة الله تعالى وتفضله، وهذه الرحمة تتحقق بشرط الإيمان والعمل الصالح، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : " لن ينجي أحدا منكم عمله " قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟! قال: " ولا أنا الا أن يتغمديني الله برحمته، سدودا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا" ٦١

٦١ أخرجه البخاري برقم (٦٤٦٣) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨١٦).

وقال العيني: " قال الكرمانى: إذا كان كل الناس لا يدخلون الجنة إلا برحمة الله فوجه تخصيص رسول الله ﷺ بالذكر هو أنه إذا كان مقطوعاً له بأنه يدخل الجنة ولا يدخلها إلا برحمة الله، فغيره يكون في ذلك بطريق الأولى. قوله: - إلا أن يتغمدني الله - أي: إلا أن يستترني الله برحمته، يقال تغمده الله برحمته إذا ستره بها، ويقال: تغمدت فلاناً أي: سترت ما كان منه وغطيته، ومنه غمد السيف لأنك إذا غمدته فقد سترته في غلافه، وفي رواية سهيل: إلا أن يتداركني^{٦٢}

قال الرافعي في أماليه: كما كان أجر النبي ﷺ في الطاعة أعظم وعمله في العبادة أقوم قيل له ولا أنت أي لا ينجيك عملك مع عظم قدرك فقال لا إلا برحمة الله.^{٦٣}

من يسأل الله الفوز بالجنة والنجاة من النار، ولا يعمل لذلك، فلا يمكن أن ينجو من النار ويفوز بالجنة لأنه لم يعمل لذلك، فبطل الاحتجاج بالقدر على معاصي الله بالأثر والنظر، ولهذا قال النبي ﷺ كلمة جامعة مانعة نافعة:

^{٦٢} عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٦٣/٢٣، بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)
^{٦٣} إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٩/٢٦٥، أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني (المتوفى: ٩٢٣هـ) ..

"عن علي رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ في جنازة، فأخذ شيئاً فجعل ينكت به الأرض، فقال: «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار، ومقعده من الجنة» قالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا، وندع العمل؟ قال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة»، ثم قرأ: (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى) الليل: ٦ "٦٤"

التوكل على الله عبادة عظيمة له سبحانه والتوكل عليه يجب أن يكون في كل شيء ومن توكل عليه تعالى حق التوكل لا يخيب في أي مسعى يسعاه في دنياه وآخرته ... ولكن يجب أن يكون مرافقاً للعمل والأخذ بالأسباب فإن من يتكل على الله في دخول الجنة ولا يعمل لها عقيدة وعبادة وعملاً فلن يدخلها! وكذلك في كل شأن من شؤون الدنيا والآخرة فيجب لكل عمله على ألا نعتقد أن أعمالنا هي التي تفضي إلينا بالنجاح وحدها بل بتوفيق الله تعالى ورحمته. فمثلاً أنا لا أربح بتجارتي ولا أوفق بزراعتي ولا أفوز في أي ربح بمجرد خبرتي وعلمي فحسب ... بل يجب أن يكون هذا موفوراً بتمامه وأتوكل على الله في الفوز بما أتمناه ولهذا: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم "لا يدخل أحدكم الجنة بعمله" قالوا ولا أنت يا رسول الله.

^{٦٤} أخرجه البخاري برقم (٤٩٤٩) ومسلم برقم (٢٦٤٧).

قال: "ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته" فلا يصبح العمل بلا توكل على الله كما لا يصح التوكل بلا عمل فعندها يكون تواكلاً لا توكلاً ويتمنى صاحبه على الله الأمانى دون أن يأخذ بأسباب نيل الأمانى ...

قدمنا هذه الكلمة بين يدي البحث لنعلم نوعية التوكل الذي يرضاه الله فهو سبحانه يحب التوكل لا التواكل وهذا ما أمر به أنبياءه أن يبلغوه عباده.. ولم يحض نبياً به ويستثنى آخراً منه بل أوصاهم جميعاً بالتوكل عليه.^{٦٥}

^{٦٥} التوصل إلى حقيقة التوسل - المشروع والممنوع ١/١٠٢، محمد نسيب الدين الرفاعي (المتوفى: ١٤١٣هـ).

المبحث الثالث: قول لا إله إلا الله وحدها لا تحقّق الفوز

في الاعتقاد السائد بين الناس اليوم، بأن كل من قال لا إله إلا الله يدخل الجنة بعمل أو دون عمل، قليلاً هذا العمل، أو كثيراً، معتمدين على نصوص الحديث الصحيحة التي ظاهرها إطلاق الفوز بأن يحرم عليه دخول النار وهي:

أ- في البخاري: عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن ذرة من خير»^{٦٦}

ب- وفي " الصحيحين " عن أنس: أن النبي ﷺ قال يوماً لمعاذ: " ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار ".^{٦٧}

لتوضيح هذه المسألة نسوق النصوص الآتية:

^{٦٦} برقم (٤٤) ومسلم برقم (٣١٦).

^{٦٧} أخرجه البخاري ٤ برقم (١٢٨)، ومسلم برقم (٣٢) (٥٣).

قال ابن رجب الحنبلي: "وقالت طائفة: هذه النصوص المطلقة جاءت مقيدة بأن يقولها بصدق وإخلاص، وإخلاصها وصدقها يمنع الإصرار على معصية." ^{٦٨} وقال أبو زرعة في طرح التثريب: "والمراد بالقائل لا إله إلا الله من مات عليها معتقداً لها فهو الذي مات لا يشرك بالله شيئاً فإذا لم يكن ذلك للنبي ﷺ فكيف قال إن هؤلاء تناولهم شفاعته؟ قلت قد قيد النبي ﷺ من تناله شفاعته مع كونه مات غير مشرك بالله تعالى بكونه من أمته والذي جاء فيه أنه ليس إليه ليس فيه تقييده بهذه الأمة فحصل الجمع بينهما بأن الذي تناله شفاعته نبينا ﷺ هم موحدو هذه الأمة والذي استأثر به الرب جل جلاله موحدو غير هذه الأمة والله أعلم." ^{٦٩}

وقال ابن بطل: "وقيل لوهب بن منبه: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلى، ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك" ^{٧٠}

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رجلاً قال يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة قال: تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان فقال الرجل والذي نفسي

^{٦٨} جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ١/٥٢٢.

^{٦٩} طرح التثريب في شرح التقریب ٣/ ١٢١، زين الدين العراقي (المتوفى: ٨٠٦).

^{٧٠} شرح صحيح البخاري لابن بطل ٣/٢٣٥

بيده لا أزيد على هذا شيئاً ولا أنقص منه فقال النبي ﷺ من سره أن ينظر
إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا" ٧١

وخلاصة القول في المسألة، لا بد من العمل وأداء الشروط، قال إحصان
إلهي ظهير ملخصاً مقتضى لا إله إلا الله:

" الإسلام يعبر عن التمسك بأوامر الله وأوامر رسوله ﷺ، واجتناب ما نهى
الله عنه ورسوله ﷺ، وقضاء حياة مثل ما قضاها رسول الله ﷺ واختيار
الطرق والسنن التي اختارها أصحاب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه
كما أمر به الرب تبارك وتعالى في كلامه المحكم: (أطيعوا الله والرسول لعلكم
ترحمون) آل عمران: ١٣٢، و(أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم
تسمعون)، الأنفال: ٢٠، و(من يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب)
الأنفال: ١٣، و(ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا
فيها ذلك الخزي العظيم) التوبة: ٦٣ و(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا) الحشر: ٧، (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً)
الأحزاب: ٧١،

٧١ أخرجه مسلم برقم (١٥) وانظر: (كلمة الإخلاص وتحقيق معناها ٧/١ بتصرف).

و(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر
وذكر الله كثيراً) الأحزاب: ٢١، و(واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم
فأنبئكم بما كنتم تعملون)، لقمان: ١٥

وأوامر الله ورسوله، وكذلك نواهي الله ونواهي رسوله موجودة محفوظة في
الكتاب والسنة ، والكتاب المنزل على سيد البشر وخاتم الأنبياء والرسل
صلوات الله وسلامه عليه ، المعبر عنه بالذكر الحكيم والفرقان الحميد والقرآن
المجيد ، الذي جعله الله شفاء وهدى ورحمة للمؤمنين ، وسنة رسول الله
المعبر عنها بالحكمة في قوله جل وعلا: (ويعلمكم الكتاب والحكمة)
وبالحديث النبوي الشريف ، ما ثبت عنه وصح من أقواله وأفعاله وتقريراته،
الكتاب والسنة اللذين ذكرهما الرسول ﷺ في قوله حيث حرض أمته ،
وحثهم على التمسك والتشبث بهما قائلاً: " عن أبي هريرة رضي الله عنه،
قال: قال رسول الله ﷺ: " إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما:
كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض ^{٧٢}"

^{٧٢} الحديث حسن أخرجه الحاكم برقم (٣١٩)، وانظر: صحيح الجامع: ٢٩٣٧

المبحث الرابع: أصحاب النار لا يمكن لهم الفوز

أصحاب النار لا فوز لهم، لأن الأساس في الفوز الذي ينجي من النار، اعتقاد وقول وعمل مخلص وفق الكتاب والسنة، وكلا القيدان أصحاب النار لا نصيب لهم فيه. ولعل الأصل في الاستدلال على عدم فوزهم هو قول الله تعالى: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) فاطر: ٣٢ فالعباد لا يخلون من هذه الأقسام الثلاثة، فإما عاص ظالم لنفسه، وإما مطيع مبادر إلى الخيرات، وإما مقتصد بينهما.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: (وكنتم أزواجا ثلاثة، فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة، والسابقون السابقون)، الواقعة: ٢. وهذه الآية منطبقة المعنى على الآية التي قبلها، فأصحاب المشأمة هم الظالمون لأنفسهم، وأصحاب الميمنة هم المقتصدون، والسابقون هم السابقون بالخيرات.

وعلى نحو ذلك جاء قوله تعالى: (هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً)، الرعد: ١٢ فإن الناس عند رؤية البرق بين خائف وطماع، وليس لنا قسم ثالث. فإن قيل: إن استيفاء الأقسام ليس شرطاً، وترك بعض الأقسام لا يقدح في الكلام، وقد ورد في القرآن الكريم كقوله تعالى: (لا يستوي

أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون)، الحشر: ٩
فذكر أصحاب الجنة دون أصحاب النار، فالجواب عن ذلك أني أقول: هذا
لا ينقض على ما ذكرته، فإن استيفاء الأقسام يلزم فيما استبهم الإجمال
فيه، ألا ترى إلى قوله تعالى: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا
فمنهم) فإنه حيث قال "فمنهم" لزم استيفاء الأقسام الثلاثة، ولو اقتصر
على قسمين منها لم يجز، وأما هذه الآية التي هي (لا يستوي أصحاب النار
وأصحاب الجنة) فإنه إنما خص أصحاب الجنة بالذكر، للعلم بأن أصحاب
النار لا فوز لهم، ولو خص أصحاب النار بالذكر لعلم أيضاً ما لأصحاب
الجنة. ٧٣

٧٣ خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ٤٣١/٢

الفصل الرابع:

المبحث الأول: أثر الفوز والنجاح

"في قوله تعالى: (ويسارعون في الخيرات) فيه وجهان: أحدهما: يتبادرون إليها خوف الفوت بالموت، فإن قيل: أليس أن العجلة مذمومة لقوله ﷺ: التأني من الله، والعجلة من الشيطان، وما شيء أكثر معاذير من الله وما من شيء أحب إلى الله من الحمد" ^{٧٤} فما الفرق بين السرعة والعجلة؟

فالجواب: أن السرعة مخصوصة بأن يقدم ما ينبغي تقديمه، والعجلة مخصوصة بأن يقدم ما لا ينبغي تقديمه فالمسارعة مخصوصة بفرط الرغبة فيما يتعلق بالدين، لأن من رغب في الآخرة أثر الفوز على التراخي، قال تعالى: (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم) آل عمران: ١٣٣. ^{٧٥}

(إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون، ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون). "النور: ٥٢

^{٧٤} أخرجه الترمذي برقم (٢٠١٢)، وانظر: صحيح الجامع: ٣٠١١، والصحيحة: (١٧٩٥)

^{٧٥} الباب في علوم الكتاب ٤٨٠/٥، أبو حفص سراج الدين بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)،

(الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون) التوبة: ١٢٩

(إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين) المؤمنون: ١٠٩

(لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) الحشر: ٢٠ "اللهم إني أسألك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء ومرافقة الأنبياء والنصر على الأعداء"^{٧٦}

وقال الله تعالى: (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم) التوبة: ٧٢.

^{٧٦} طرف من حديث طويل ستأتي فقرات أخرى منه أخرجه الترمذي في الدعوات برقم ٣٤١٩ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ليلة حين فرغ من صلاته: "اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها أمري، وتلم بها شعتي، وتصلح بها غائبي، وترفع بها شاهدي، وتزكي بها عملي، وتلهمني بها رشدي، وترد بها ألفتي، وتعصمني بها من كل سوء، اللهم أعطني إيماناً و يقيناً ليس بعده كفر، ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة. اللهم إني أسألك الفوز في العطاء، ونزل الشهداء، وعيش السعداء، والنصر على الأعداء.

شأن الدعاء ١/ ١٤٥، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)،

إحلال الله عز وجل رضوانه الدائم على أهل الجن، وقال مالك بن أنس، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ "يقول الله لأهل الجنة: يا أهل الجنة: فيقولون: لبيك ربنا وسعديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك؟ فيقول: إنما أعطيتكم أفضل من ذلك: فيقولون: ياربنا: فأني شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدا".^{٧٧}

وقال أبو بكر البزار: حدثنا سلمة بن شبيب، والفضل بن يعقوب، قالا: حدثنا الفريابي، عن سفيان، عن محمد بن المنكدر، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ "إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال الله: ألا أعطيتكم - أحسبه قال: - أفضل؟ قالوا: يا ربنا: أي شيء أفضل مما أعطيتنا؟ قال: رضواني أكبر".^{٧٨}

^{٧٧} وأخرجه في الصحيحين: من حديث مالك، به.

^{٧٨} النهاية في الفتن والملاحم ٣٤٨/٢، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ).

المبحث الثاني: الفوز في مناسبات عند ابن الجوزي

قال ابن الجوزي في علامة الفائز في قوله تعالى:

" (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) قال الفراء: بريق النعيم. وجوه طال ما غسلتها دموع الأحزان، وجوه طال ما غبرتها حركات الأشجان، وجوه تخبر عن القلوب إخبار العنوان، حرسوا الوقت باليقظة وحفظوا الزمان، وشغلوا العيون بالبكاء والألسن بالقرآن، فإذا رأيتهم يوم الجزاء رأيت الفوز العظيم (تعرف في وجوههم نضرة النعيم). وجوه ما توجهت لغيري ولا استدارت، وأقدام إلى غير ما يرضيني ما سارت وعزوم لغير مرضاتي ما ثارت، وقلوب بغيري قط ما استجارت، وأفئدة بغير ذكري ما استنارت، ولو رأت عيون الغافلين ما أعددت لهم لحارت من فضل عظيم وملك جسيم (تعرف في وجوههم نضرة النعيم).

أشرقت وجوههم في الدنيا بحسن المجاهدة، وتشرق وجوههم يوم القيامة بالقرب والمشاهدة، أشرقت وجوههم في الليل بنور السهر، وتشرق غدا بمشاهدة الحق إذا ظهر، أشرقت وجوههم في الدنيا بجريان الدموع على

الحدود، وتشرق غدا في جنان الخلود، فإذا رأيتهم في سرور ما فيه ما يضميم
(تعرف في وجوههم نضرة النعيم).^{٧٩}

وقال في المحروم من الفوز:

"يا قائما في مقام الجهالة قد رسخ، يا متكبرا على إخوانه قد علا وشمخ،
يا خارجا عن الحد شغلا باللهو والمطبخ، يا من في بصره كمه وفي سمعه
صمخ، يا طامعا في السلامة مع ترك الاستقامة، ألقيت البذر في السبخ،
متى ينقى قلبك من هذا الدرن والوسخ، متى تتصور نفخة إسرافيل في
الصور إذا نفخ، يا ذا الأمل الطويل العريض، أما أنذرتك الشعرات البيض،
أما الموت برق والشيب وميض، عجباً لتأميل الكسير المهيض، لقد فات
الفوز قدح المغيض، يا دائم الخطأ وكم علم وريض، يا معجباً بالسلامة
وهو في الحقيقة مريض، لا اللسان محفوظ ولا الجفن غضيض، لا بالنثر
ترجع إلينا ولا بالقريض، لقد نزلت بك المعاصي إلى أسفل حضيض".^{٨٠}

وقال في شهر رجب:

"إخواني: هذا شهر رجب قد رحل أكثره وبان، ونور شعبان قد لاح وبان،
وقد سار إلى ديار الفوز ركبان، وأقدم الشجاع وولى الجبان، هذا الشهر

^{٧٩} التبصرة لابن الجوزي ٢٢٤/١، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ).

^{٨٠} التبصرة لابن الجوزي ٢٧٣/١

الأصم يؤذّنكم بإقلاعه ويخبركم برحيله ووداعه، فأياكم ودعه وقد أودعه ما ينفعه غداً، وأياكم داوم المعاصي فلم يقلع حتى غداً، ويل لمن ذهب عنه شهر رجب وانصرم وهو في عداد من هجر الهدى وصرم، كيف يرجو الفضل والكرم من اجترم وما احترم"^{٨١}

فضائل شعبان وفي التبصرة قال ابن الجوزي:

"الحمد لله أحق من شكر وأولى من حمد، وأكرم من تفضل وأرحم من قصد، المعروف بالدليل وبالذليل عبد، القديم لم يولد ولم يلد، أحاط علماً بالمعلومات وحواءها، وأنشأ المخلوقات بالقدرة وبنائها، وأظهر الحكم في الموجودات إذ براها، ومن يتيح حكمها لما رآها فلينظر بالفهم وليفتقد، تعرف إلى خلقه بالبراهين الظاهرة، وأظهر في مصنوعاته العجائب الباهرة، وتفرد في ملكه بالقدرة القاهرة، ووعد المتقين الفوز في الآخرة، فالبشرى للموعود بما وعد. تعالى أن يشبه ما صنعه وأن يقاس بما جمعه، سبحانه لا وزير له ولا شريك معه، نادى موسى ليلة الطور فأسمعه، فاعلم هذا واعتقد وتمسك بالكتاب والسنة ولا تمل عنهما وسلم إليهما وتسلم العلم منهما ولا تنطق برأيك وظنك فيهما، هذا مذهب أهل السنة لا تنقص ولا تزد".^{٨٢}

^{٨١} التبصرة لابن الجوزي ٣٨/٢

^{٨٢} التبصرة ٤٦/٢

وقال في شهر رمضان:

"أنعم على الأمة بتمام إحسانه، وعاد عليها بفضله وامتنانه، وجعل شهرها هذا مخصوصاً بعميم غفرانه (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن).

أحمدته على ما خصنا به فيه من الصيام والقيام، وأشكره على بلوغ الآمال وسبوغ الإنعام. ثم قال: "إله يثيب عباده ويعاقب، ويهب الفضائل ويمنح المناقب، فالفوز للمتقي والعز للمراقب" ^{٨٣}

وقال في ليلة القدر: "إخواني: ليلة القدر ليلة يفتح فيها الباب ويقرب فيها الأحاباب ويسمع الخطاب ويرد الجواب ويسنى للعاملين العظيم الأجر (سلام هي حتى مطلع الفجر)، يسعد بها المواصل ويتوفر فيها الحاصل ويقبل فيها المجامل، فيا ربح المعامل في البحر (سلام هي حتى مطلع الفجر)، ليلة تتلقى فيها الوفود، ويحصل لهم المقصود بالقبول والفوز والسعود."

وقال ابن الجوزي واعظاً وموصياً:

"أخي إن أردت النجاح والفوز بالمنى فخالف من النفس الكنود هواها ولا تتبعها في السلوك فإنها تضلل عن نهج الهدى بعمائها ما احتس الإنسان من غوائل الشيطان بمثل نهي النفس عن الهوى ولا استعان على قمع هوى

^{٨٣} التبصرة لابن الجوزي ٦٦/٢

النفس بمثل الزهد في الدنيا متى أردت أن تعرف أن الدنيا والآخرة ضربتان
فاعتبر ذلك بجوارحك لأنها أبواب دنياك فإن دخلت عليك من لسانك
أطلقته في الباطل وفيما ليس له حاصل وشغلتك عن التلاوة والذكر
وأوقعتك في لغو الكلام والزور وقول الفجور وإن دخلت عليك من بصرك
أرسلته في النظر إلى المحرمات المردية وشغلتك عن النظر في المصحف وكل
ما فيه عبرة للناظر ونور للخاطر وإن دخلت عليك سمعك أمالته إلى سماع
كل لهو وباطل وشغلتك عن سماع ما نفعه إلى القلب واصل وإن دخلت
عليك من بطنك كسلت عن الطاعات وأبسطت إلى الشهوات وأعمت
عن الفكر والذكر بصيرة قلبك وقادتك إلى كل ما فيه سخط ربك وإن
دخلت عليك من فرجك فإن كان حلالاً أو هن القوة وبلد الفطنة وإن كان
حراماً ما زاد على ذلك إلا زوال النعمة وحلول النقمة وجملة القول في ذم
الدنيا أنها لا تدخل على أحد قط إلا أدخلته بحرامها في عقاب ومنعته
بحلالها عن الثواب سبحانه الله ما أهون الدنيا عليه وما أبغضها إليه أهل
الدنيا بحرامها مغرورون وبخدعها مغبونون وبتحصيلها عن الآخرة مغمورون
شاغلون يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون أهل
المشاغل بالدنيا وزينتها عن ذكر ربهم ساهون لاهوناً لو أنهم قنعوا بما يبلغهم

لعجلوا راحة مما يقاسونا تفوت ذي الدار الأخرى وهي فانية يا ويل عشاقها
مما يلاقونا لا دارهم في الدهر باقية كلا ولا هم لما في الدهر باقوناً".^{٨٤}

^{٨٤} التذكرة في الوعظ ١/١٠١، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي
(المتوفى: ٥٩٧هـ).

المبحث الثالث: من أقوال الصالحين في أعمال الفائزين

عن إبراهيم بن أدهم:

"كان داود الطائي يقول: إن للخوف لحركات تعرف في الخائفين، ومقامات يعرفها المحبون، وإزعاجات يفوز بها المشتاقون، وأين أولئك، وأولئك هم الفائزون"^{٨٥} وفي ترجمة السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي الطالب،

قال المقرئزي: "وكانت نفيسة من الصلاح والزهد على الحد الذي لا مزيد عليه فيقال: إنها حجت ثلاثين حجة وكانت كثيرة البكاء تديم قيام الليل وصيام النهار فقيل لها: ألا ترفقين بنفسك؟ فقالت: كيف أرفق بنفسي وأمامي عقبة لا يقطعها إلا الفائزون"^{٨٦}

"وكان من دعاء معتمد الدين أبو بكر محمد بن مسعود بن بهروز البغداديّ المارستانيّ المحدث:

^{٨٥} صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال ٧٧/٢، القاضي/حسين بن محمد المهدي.

^{٨٦} الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ١/٥٢٢، زينب بنت علي بن حسين العاملي (المتوفى: ١٣٣٢هـ).

مولاي عبدك يحبّ الاتصال بطاعتك فأعنه عليها بتوفيقك، مولاي عبدك يحبّ اجتناب خطيئتك فأعنه على ذلك بمنّك، مولاي عبدك عظيم الرجاء لخيرك فلا تقطع رجاءه يوم يفرح بخيرك الفائزون^{٨٧}

قال الباقر رضي الله عنه في قوله تعالى: "ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتّقّه" قال: يطع الله: فيوحدّه، ورسوله: فيصدّقه، ويخشى الله: على ما سلف من ذنوبه، ويتّقّه: فيما بقي من عمره، فأولئك هم الفائزون غداً بالجنة^{٨٨}

وقال الزمخشري في مقامة العزم: "إن معاصي المسلم كالسباع العادية في شوارعها كالأقذاء المتعادية في شرائعها. وأنى لك أن تضرب في طريق عمارة سباع، وأن تشرب من إناء أقذاؤه تباع واجعل مرمى بصرك الغاية التي انتهى إليها أولو العزم الصابرون، وممشى قدمك الطريقة التي انتهجها الفائزون، ولا تقتد ببني أيامك فإنهم رعا. قد لأموأ صدع دنياهم ودينهم شعاع، والمقتدي بهؤلاء أطف منهم في البر مكيالاً. وأخف في الخير مثقالاً^{٨٩}."

^{٨٧} مجمع الآداب في معجم الألقاب ٣٢٨/٥، كمال الدين أحمد المعروف بابن القوطي الشيباني (المتوفى: ٧٢٣ هـ)، .

^{٨٨} صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال ٧٧/٢، القاضي/حسين بن محمد المهدي.

^{٨٩} مقامات الزمخشري ١٩١/١، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨ هـ)،

المبحث الرابع: اتباعه عليه الصلاة والسلام قمة الفوز والفلاح

"أي التقيد بكل ما ورد بالقرآن الكريم والسنة الشريفة، وما عليه الأمة الذين عاشوا في خير القرون، ومن بعدهم ممن تقبلتهم الأمة وعدم الابتداع في الدين.

قال الله تعالى: (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون)

"نلاحظ في الآية الكريمة أن كل أسباب الفلاح جاءت مطلقة غير مقيدة، لتشمل جميع ما ذكر، فالإيمان به مثلاً يجب أن يشمل جميع أوجه الإيمان التي يمكن أن تتعلق به ﷺ وكل ما جاء به، حتى يشمل الإيمان بشمائله ﷺ وحسن صفاته الخلقية والخلقية ومعجزاته الكونية والشرعية".^{٩٠}

جاء في التفسير الميسر في تعليقه على الآية الكريمة:

^{٩٠} شمائل الرسول ﷺ ٨٠/١، المؤلف: أحمد بن عبد الفتاح زواوي، الناشر: دار القمة - الإسكندرية.

"هذه الرحمة سأكتبها للذين يخافون الله ويجتنبون معاصيه، ويتبعون الرسول النبي الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، وهو محمد ﷺ، الذي يجدون صفته وأمره مكتوبين عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالتوحيد والطاعة وكل ما عرف حسنه، وينهاهم عن الشرك والمعصية وكل ما عرف قبحه، ويحل لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والمناكح، ويحرم عليهم الخبائث منها كلحم الخنزير، وما كانوا يستحلونه من المطاعم والمشارب التي حرمها الله، ويذهب عنهم ما كلفوه من الأمور الشاقة كقطع موضع النجاسة من الثوب، وإحراق الغنائم، والقصاص حتما من القاتل عمدا كان القتل أم خطأ، فالذين صدقوا بالنبي الأمي محمد ﷺ وأقروا بنبوته، ووقروه وعظموه ونصروه، واتبعوا القرآن المنزل عليه، وعملوا بسنته، أولئك هم الفائزون بما وعد الله به عباده المؤمنين." ^{٩١}

وفي الشفا في باب "الفصل الرابع في إعجاز القرآن: "حكي: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد فإذا هو بقائم على رأسه يتشهد شهادة الحق.. فاستخبره.. فأعلمه أنه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وأنه سمع رجلا من أسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم فتأملتُها فإذا قد جمع فيها ما أنزل الله على عيسى بن مريم من أحوال الدنيا

^{٩١} التفسير الميسر: ١/١٧٠، نخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

والآخرة، وهي قوله (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم
الفائزون)^{٩٢}

(فأولئك هم الفائزون) الآية، بالنعيم المقيم أو سعادة الدارين، وذلك لأنها
آمرة بجميع الطاعات، وباجتناب جميع المعاصي، والمبادر إلى التوبة والفوز
بالمطلوب "وقد رام قوم من أهل الزيغ" الميل عن الحق إلى الباطل، التوبة
والفوز بالمطلوب، وقد رام قوم من أهل الزيغ: الميل عن الحق إلى الباطل^{٩٣}
وقال الزرقاني في شرح الشفا في قوله تعالى: (ومن يطع الله ورسوله فأولئك
مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً):

وهذه الآية من أقوى الأدلة على أن الرسول معصوم في جميع الأوامر
والنواهي، وفي كل ما يبلغه عن الله؛ لأنه لو أخطأ في شيء منها لم تكن
طاعته طاعة لله، وأيضاً وجب أن يكون معصوماً في جميع أحواله؛ لأنه
تعالى أمر بمتابعته في قوله: (واتبعوه)، الأعراف: ١٥٨.

والمتابعة: عبارة عن الإتيان بمثل فعل الغير، فثبت أن الانقياد له في جميع
أقواله وأفعاله إلا ما خصه الدليل طاعة له، وانقياد لحكم الله تعالى.

^{٩٢} الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/٥٠٨، عياض بن موسى (المتوفى: ٥٤٤) هـ.

^{٩٣} شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٦/٤٣٩ محمد بن عبد الباقي الزرقاني (المتوفى:

وقال: (ومن يطع الله والرسول) فيما أمرا به، (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين) أفاضل أصحاب الأنبياء لمبالغتهم في الصدق والتصديق " (والشهداء) القتلى في سبيل الله (والصالحين) النساء: ٦٩ الآية، غير من ذكر "الآية" أي: (وحسن أولئك رفيقاً)، أي: رفقاء في الجنة؛ بأن يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم، وإن كان مقرهم في درجات عالية بالنسبة إلى غيرهم، قال الزرقاني في شرح الشفا: قال البيضاوي:

قسمهم أربعة أقسام: باعتبار منازلهم في العلم والعمل، وهم الأنبياء الفائزون بكمال العلم والعمل، المجاوزون حد الكمال إلى درجة التكميل، ثم صديقون صعدت نفوسهم تارة إلى مراقبي النظر في الحجج والآيات، وأخرى إلى معارج القدس بالرياضة والتصفية، حتى اطلعوا على ما لم يطلع عليه غيرهم، ثم شهداء بذلوا نفوسهم في إعلاء كلمة الله وإظهار الحق، ثم صالحون صرفوا أعمارهم في طاعته، وأمواهم في مرضاته. انتهى.^{٩٤}

"وهذا عام في المطيعين لله تعالى من أصحاب الرسول ﷺ ومن بعدهم، وعام في المعية في هذه الدار" الدنيا لعموم اللفظ، "وإن فاتت فيها معية

^{٩٤} شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ١٢/٤١٦، محمد بن عبد الباقي بن محمد الزرقاني (المتوفى:

الأبدان"، وذلك فيمن آمن في زمنه ﷺ ولم يره، ومن آمن بعده إلى يوم "لا يسأل الناس وأتكفل له بالجنة"، فقال ثوبان: أنا، وكان لا يسأل أحدا شيئا، "كان شديد الحب لرسول الله ﷺ قليل الصبر عنه" ولذا ألزمه حضرا وسفرا، "فأتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه" بفتح الحال، وفي لغة بكسرها، وأخرى بضمها مبنيا للفاعل، فهو لازم، أي: قام بجسمه المرض، ويعدى، بالهمزة، فيقال: أنحله المرض.^{٩٥} قال سليمان الندوي في الرسالة المحمدية:

"ولو شئنا أن نعبر عن جميع تعاليم الإسلام بأسلوب موجز، جاز لنا أن نعبر عنها بهاتين الكلمتين الوجيزتين: "الإيمان، والعمل الصالح".

فهاتان الكلمتان تشملان جميع ما جاءت به رسالة محمد ﷺ، وتحيطان بكل ما أكملته من عقيدة، وعمل، وخلق، وحسن معاملة، فهما قوام الإسلام وزبدة ما جاء به محمد رسول الله، وهما في الواقع قوام الفلاح، والنجاة، وملاك السعادة. فمن آمن بالله إيمانا لا يزعمه شيء، وأطاع الله فيما أمر به من حق وخير، وعمل بذلك عملا صالحاً لا يشوبه سوء، أفلح ونجا.

^{٩٥} شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٥٠٧/٨

وقد وصف الله في كثير من الآيات شأن المؤمنين الذين يؤمنون بالله،
ويعملون عملاً صالحاً، وبشرهم تارة بقوله: (وأولئك هم المفلحون)، البقرة:
٥ وتارة بأنهم (وأولئك هم الفائزون) التوبة: ٢٠، فالفلاح البشري، والفوز
الإنساني يرجع إلى الإيمان بالله والعمل الصالح بما أمر.^{٩٦}

^{٩٦} الرسالة المحمدية ١/١٨٨، المؤلف: السيد سليمان الندوي الحسيني (المتوفى: ١٣٧٣هـ).

المبحث الخامس: التقوى والعمل الصالح سبيل الفائزين

التقوى:

الفوز الذي ينشده الإنسان، هو النجاح في السلوكيات الأخلاقية، والعلاقات الاجتماعية، هذا للإنسان عامة، أما المسلم، فأخلاقه من وراء عقيدته التي بينت في الكتاب والسنة، وطبقت في الأقوال والأفعال والأخلاق.

ولما احتاج الناس لبعضهم ضبط الإسلام علاقاتهم، فمعاملاتهم ناتجة عن التصرفات بدقة وحذر شديدين، فلا يكون سلوك أو عمل إلا مضبوط وفق أمر الله ورسوله لا يخرج عنهما، ولهذا كانت التقوى من أجمع الفضائل.

ومن دقيق ما كتب في هذا ما جاء في صيد الأفكار: "التقوى: فضيلة أراد بها القرآن أحكام ما بين الإنسان والخلق، وأحكام ما بين الإنسان وخالقه ولذلك تدور هذه الكلمة ومشتقاتها في أكثر آيات القرآن الأخلاقية والاجتماعية، والمراد بها أن يتقي الإنسان ما يغضب ربه وما فيه ضرر لنفسه أو إضرار بغيره، ألا ترى أن كلمة التقوى في أصل معناها جعل النفس في وقاية، ولا تجعل النفس في وقاية إلا بالنسبة فيما يخاف، فخوف الله أصلها، والخوف يستدعي العلم بالمخوف، ومن هنا كان الذي يعلم الله هو الذي يخشاه، وكان الذي يخشاه هو الذي يتقيه، فملتقون هم الذين يقون أنفسهم

عذاب الله وسخطه في الدنيا والآخرة، وذلك بالوقوف عند حدوده وامتنال أوامره واجتناب نواهيه، وهو لا يأمر إلا بما فيه خير للإنسانية، ولا ينهى إلا عما يضرها، فخشية الله والتقوى توأمان لا يصل الإنسان إلى السعادة إلا بهما، فلولا التقوى والخشية من الله لاسترسل الإنسان في شروره، وانكب على شهواته، واضاع حياته، فخشية الله المقرونة بالتقوى تربي الضمير الإنساني وتجعله متحلياً بالأخلاق الفاضلة كريماً شجاعاً بعيداً عن الرذائل، يحافظ على حق الله وحق عباده، وفي الذكر الحكيم على ذلك دليل وشاهد قال تعالى: (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون) النور: ٥٢ وفي أمثال العرب: "السعيد من اتقى الله"^{٩٧}

العمل الصالح:

سأكتفي بذكر حديث واحد جامع لأعمال يفوز بها المؤمن، لتكون دافعاً له وحافزاً على فعل الخير، مثمراً تقوى الله عزوجل والإخلاص لدينه.

"عن عبد الرحمن بن سمرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في مسجد المدينة فقال: إني رأيت البارحة عجباً، إني رأيت رجلاً من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه به بوالديه فرد عنه، ورأيت رجلاً من أمتي يسلط عليه عذاب القبر فجاءه وضوءه فاستنقذه، ورأيت رجلاً من أمتي قد

^{٩٧} صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال ٧٧/٢، حسين بن محمد المهدي.

احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله تعالى فخلصه من بينهم، ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم، ورأيت رجلاً يلهث عطشاً كلما ورد حوضاً منع منه فجاءه صيام شهر رمضان فأسقاه وأرواه، ورأيت رجلاً والنبیون حلق كلما جاء إلى حلقة طرد فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده فأعده إلى جانبي، ورأيت رجلاً بين يديه ظلمة وخلفه ظلمة وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته ظلم فهو متحير، فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة فأدخلاه في النور، ورأيت رجلاً يكلم المؤمنين فلا يكلمونه فجاءه صلة الرحم فقال: يا معشر المؤمنين كلموه فإنه كان واصلاً لرحمه، فكلمه المؤمنون وقربوه. ورأيت رجلاً يتقي وهج النار وشرها بيده عن وجهه، فجاءته صدقته فصارت سترًا على وجهه وظلاً على رأسه، ورأيت رجلاً أخذته الزبانية من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيهِ عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة فصار معهم، ورأيت رجلاً جاثياً على ركبتيه بينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله عز وجل. ورأيت رجلاً هوت صحيفته قبل شماله فجاءه خوفه من الله تعالى فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه. ورأيت رجلاً قد خف ميزانه فجاءته أفراطه فثقلوا ميزانه. ورأيت رجلاً قائماً على شفیر جهنم فجاءه وجله من الله تعالى فاستنقذه من ذلك

ومضى. ورأيت رجلاً هوى في النار فجاءت دموعه التي بكأها من خشية الله في الدنيا فأخرجته من النار".^{٩٨}

قال القاضي المعافى بن زكريا: قد روينا ما تضمنه هذا الخبر من طرق شتى، مجملاً ومفصلاً، وما ورد في معناه ونحوه، وفيه من الترغيب في الخير وحسن عاقبته، والتحذير من فعل الشر وسوء مغبته، ما يدعو ذوي الألباب إلى الاستكثار من الطاعة ومجانبة المعصية. فالفاضل الرشيد والفائز السعيد من استكمل خلال الخير وفارق خصال الشر. ومن تعلق ببعض الأخلاق الحميدة فلن يعدم الانتفاع به وإحماذ عاقبته. والبلية الكبرى والمصيبة العظمى فيمن عري من شعب الخير كلها ولم يستصحب شيئاً منها. وليحذر المؤمن أن يعرض عن حظه ويذهب، وأن يكون ممن يجد به ويلعب. والله تعالى ذكره يوم يخسر فيه المبطلون، ويغتبط به الفائزون، وينعم فيه المتقون".^{٩٩}

^{٩٨} الحديث حسن بشواهد، أورد الحديث أحمد بن الصديق الغماري وحققه وخرج بنتيجة "أن الحديث له طرق حسنة. قال: أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق ص: ٩، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رواه الطبراني من طريقين وذكرهما، ونقل عن ابن القيم في كتاب الروح قال: وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يعظم أمر هذا الحديث وقال: أصول السنة تشهد له وهو من أحسن الأحاديث اهـ. أنظر: المداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي ٤٢/٣ أحمد بن محمد بن الصديق بن أحمد، أبو الفيض الغماري الحسني الأزهرى (المتوفى: ١٣٨٠ هـ)

^{٩٩} المجلس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ٧٠٢/١، أبو الفرج المعافى بن زكريا (المتوفى: ٣٩٠ هـ).

فالتقوى والعمل الصالح سبيلا فوز المؤمن، ورفعة قدره، وسمو مكانته، في الدنيا مع ما يدّخره الله له يوم القيامة، فينجو يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وهذا حال أهل التقوى والعمل المخلص، وفق هدي الله تعالى، وهدي رسوله ﷺ .

الخاتمة

الفوز: الظفر بالخير، والنجاة من الشر، وإذا أردنا أن نتبين موقع الفائزين من غيرهم، فأبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى أوضح في إحيائه تقسيماً لدرجات الناس وصورها بأسلوب عذب يسير وكان مما قال: " الناس ينقسمون في الآخرة بالضرورة إلى أربعة أقسام هالكين ومعذبين وناجين وفائزين ومثاله في الدنيا أن يستولي ملك من الملوك على إقليم فيقتل بعضهم فهم الهالكون ويعذب بعضهم مدة ولا يقتلهم فهم المعذبون ويخلى بعضهم فهم الناجون ويخلع على بعضهم فهم الفائزون فإن كان الملك عادلاً لم يقسمهم كذلك إلا باستحقاق فلا يقتل إلا جاحداً لاستحقاق الملك معانداً له في أصل الدولة ولا يعذب إلا من قصر في خدمته مع الاعتراف بملكه وعلو درجته ولا يخلي إلا معترفاً له برتبة الملك لكنه لم يقصر ليعذب ولم يخدم ليخلع عليه ولا يخلع إلا على من أبلى عمره في الخدمة والنصرة ثم ينبغي أن تكون خلع الفائزين متفاوتة الدرجات بحسب درجاتهم في الخدمة وإهلاك الهالكين إما تحقيقاً بجز الرقبة أو تنكيلاً بالمثلثة بحسب درجاتهم في المعاندة وتعذيب المعذبين في الخفة والشدة وطول المدة وقصرها واتحاد أنواعها واختلافها بحسب درجات تقصيرهم"^{١٠٠}

^{١٠٠} إحياء علوم الدين ٢٤/٤، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ).

المحتويات

مقدمة.....	٢
خطة البحث.....	٨
الفصل الأول:.....	١١
المبحث الأول: تعريف الفوز لغة واصطلاحاً.....	١١
المبحث الثاني: آيات الفوز في القرآن الكريم.....	١٢
المبحث الثالث: من صفات الفائزين.....	٢٥
المبحث الرابع: فوز سادة الفائزين الصحابة رضي الله عنهم.....	٢٩
المبحث الخامس: فوز التابعين.....	٤٠
الفصل الثاني:.....	٤٨
المبحث الأول: عوامل الفوز في عصر الغنائية.....	٤٨
المبحث الثاني: الفوز العكسي.....	٥٣
المبحث الثالث: الفوز من ثمرات الايمان.....	٥٧
المبحث الرابع: من وسائل الفوز.....	٦٠
المبحث الخامس: مقارنة بين أهل الفوز والخسران.....	٦٨
الفصل الثالث:.....	٧٤

المبحث الأول: من أسباب الخسران: عدم التفريق بين حسن الظن	
والغرور	٧٤
المبحث الثاني: العمل لوحده لا يحقق الفوز	٧٧
المبحث الثالث: قول لا إله إلا الله وحدها لا تحقق الفوز	٨١
المبحث الرابع: أصحاب النار لا يمكن لهم الفوز	٨٥
الفصل الرابع:	٨٧
المبحث الأول: أثر الفوز والنجاح	٨٧
المبحث الثاني: الفوز في مناسبات عند ابن الجوزي	٩٠
المبحث الثالث: من أقوال الصالحين في أعمال الفائزين	٩٦
المبحث الرابع: اتباعه عليه الصلاة والسلام قمة الفوز والفلاح	٩٨
المبحث الخامس: التقوى والعمل الصالح سبيل الفائزين	١٠٤
الخاتمة	١٠٩